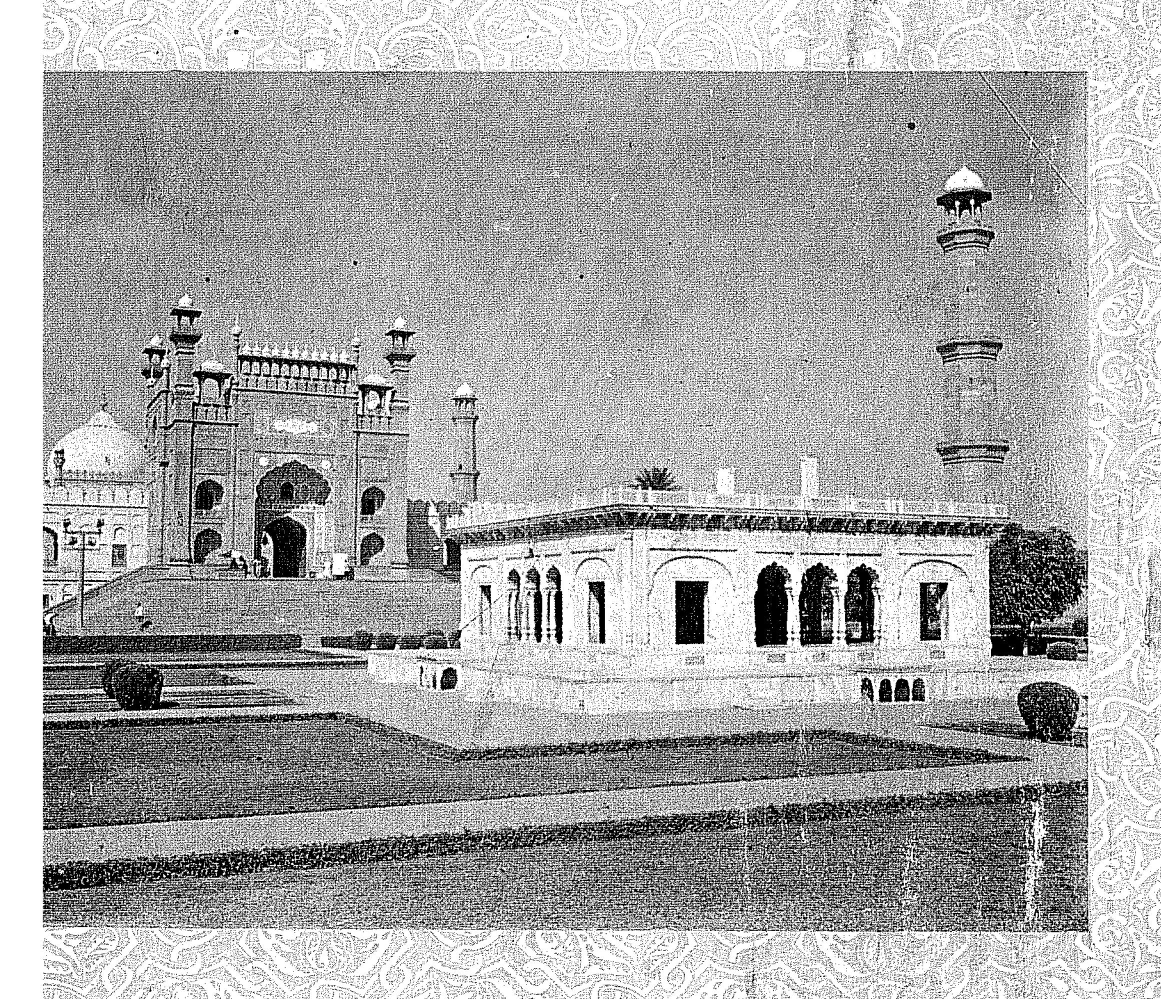
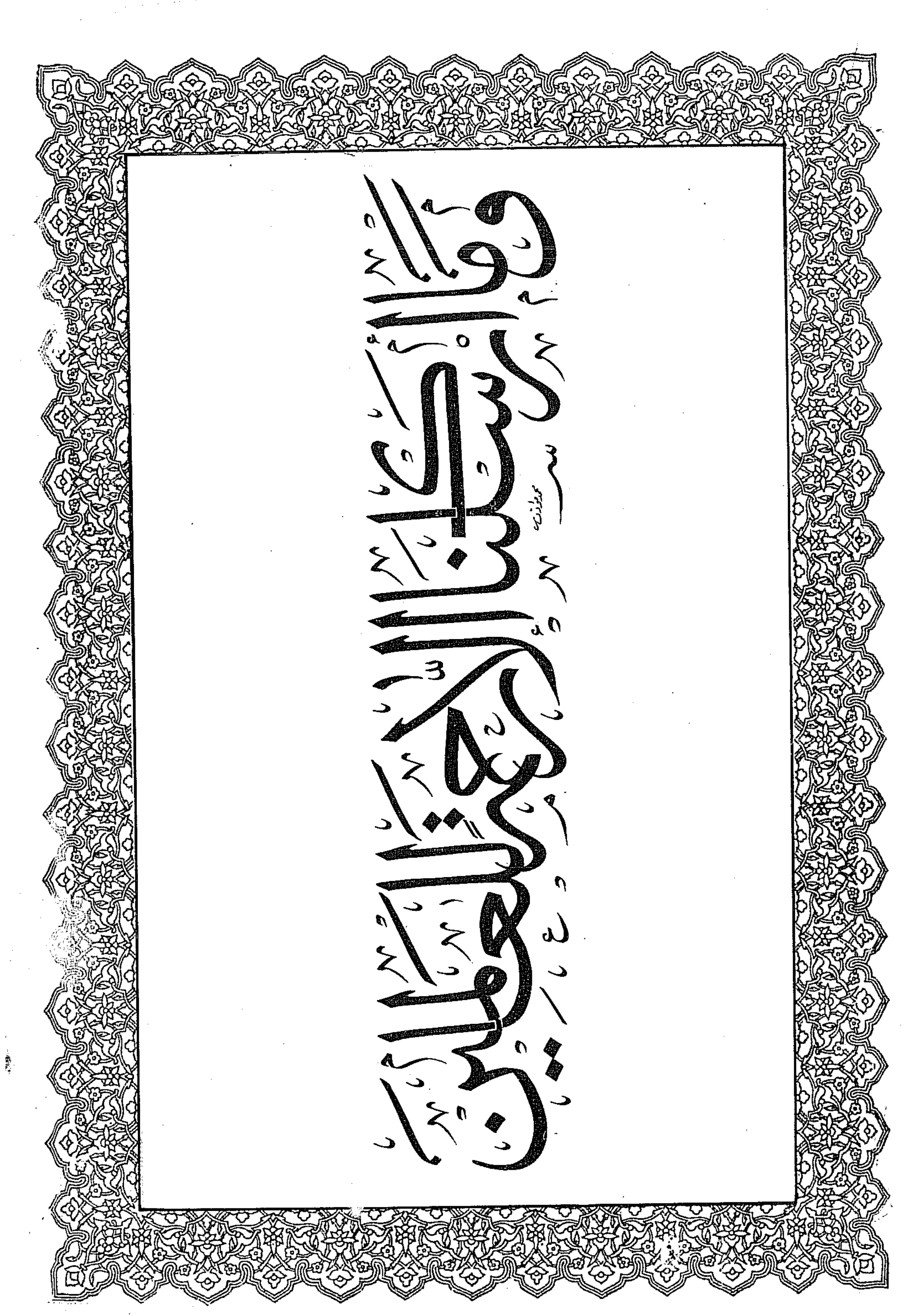
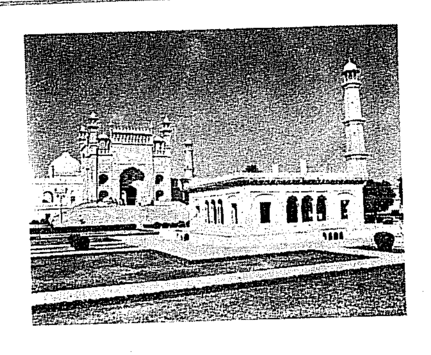
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة العاشرة – العدد ١١١ – غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ – مارس ١٩٧٤







مسجد شاه جيهان بمدينة شاتا ـ باكستان

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشر

العـــدد ١١١

غرة ربيع الأول ١٣٩٤ هـ

مارس ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غـرة كل شـــهر عـربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـوان المراســلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشــئون الاســلامية

صــندوق بريد : ١٣ ـ كـويت ـ هــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨



منذ بضع سنوات دق الهاتف فكان المتكلم كبيرا مسئولا فى هيئة الأمم المتحدة من احدى دول امريكا اللاتينية ، قال : انه سمع سفير أندونيسيا بالأمس فى خطاب القاه على أحد المحافل الدولية يسوق آية ذكر أنها من القرآن الكريم وفيها يخاطب الله عباده بأنه خلقهم جميعا من أصل واحد وانه لا فضل لأحد على آخر الا بالعمل الصالح ، ثم قال هذا المتحدث إنه حاول العثور على هذه الآية فى النسخة القرآنية التى بيده ، وهى باللغة الاسبانية ترجمة عن الأصل العربى فلم يجدها ، فأدركت انها الآية التى تقول : **((يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير))** فدللته على موضعها من الكتاب الكريم وذكرت له أنها الآية رقم ١٣ من السورة رقم ٤٩ (سورة الحجرات) ، فقلب صفحات الكتاب الذى بيده ، ثم صاح مسرورا وقال انه قد عثر عليها ، ثم صار يترجم ما يقرؤه من الاسبانية الى الانجليزية ليطمئننى على أنها الآية التى يتطلبها ، وأبدى اعجابه من أن يشتمل هذا الكتاب الكريم الذى أوحى به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا على هذه التعاليم الانسانية الجليلة قبل صدور اعلان حقوق الانسان فى العصر الحديث .

ذكرت ذلك الحادث فى الشهور القليلة الماضية حيث احتفلت هيئة الأمم المتحدة واحتفل العالم معها بالعيد الفضى لاعلان حقوق الانسان ، اعنى تلك الوثيقة التاريخية التى صاغتها هيئة الأمم ووافقت عليها وأوصت وصاة مؤكدة أن تعمل جميع الدول الأعضاء بمقتضى هذه الوثيقة ، وكان اعلانها فى العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ ، واعتبر اعلانها حجر زاوية فى تاريخ

الانسانية لما اشتملت عليه من وصايا انسانية جليلة ، والوثيقة ـــ كما هو معلوم ـــ تحتوي على ثلاثين مادة ، ولكنها كلها تدور حول مبدأ المســـاواة وكرامة الانسانية ، ومبدأ حـــرية الفرد ، وسائر موادها تدور حـــول هذين المبدأين أو ترجع إليهما .

وقبل مقدم تاريخ تلك الذكرى بأشــــهر ، اهتمت هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها الفنية المختلفة باعداد العدة للاحتفال بالذكرى ، فعقدت الاجتماعات وتبودلت المذكرات ونشرت المقالات ، والقيت الاحاديث ، ولا نزال نقرأ وتصلنا المقالات والوثائق الخاصة بهذه المناسبة .

ثم ذكرني بالحـــادث الذي سقته أول هذا المقـــال مقـــدم المولد النبى الشريف ، مولد الهدى والنور ، مولد اعلان الحقوق الانسانية اعلانا تاما كاملا شاملا صحيحا ، وجذبني ذلك كله الى التأمل ومقارنة ما ورد بهذه الوثيقة وخاصة من حيث هذه المبادىء المذكورة ، وما جاء محمد بن عبد الله فى القرن السادس الميلادى ، فى زمن أهدرت فيه كرامة الفرد ، وفشـــا فيه الظلم والجهـــل والبغى والفســـاد ، ولفت نظـــرى الى ذلك بالأكثر ما ورد بالخطب والأحاديث والمناقشات والمقالات فى هذا الصدد ، اذ كان أكثرها نقدا مرا لما عليه وضع الانسان الحالى ، وفشل الأمم فى تطبيق نصوص هذا الميثاق ، فقد ذكروا أن العالم لا يزال يعانى من ويلات الحروب أو من الخوف منها ، ولا تزال السجون مشحونة بالابرياء ، ويعامل أسرى الحرب معاملة وحشية غليظة ، فتخلع أظافرهم وتكوى جلودهم ويغمسون فى المـــاء أو يعلقون فى الهواء بعد طول الحرمان من النوم والطعام والشراب لإكراههم على الإدلاء بمعلومات فى صالح جلاديهم ، بل تعذب أطفالهم ويعتـــدى على حرمهم أمام أعينهم من أجل ذلك ، وقالوا : لا يزال القوى يعتـــدى على الضعيف ، ولا تبالى الدول الكبرى بمصالح الدول الصـــغرى ، ولا تزال الانسانية تعانى من التفرقة العنصرية المريرة . الى غير ذلك مما يتنافى مع الكرامة الانسانية ويتعارض مع نص اعلان الحقوق الانسانية .

وهكذا كان تقييم المختصين لأثر اعلان حقوق الانسان سلبيا ، فلم يحقق هذا الاعلان ما توقع له الناس من نجاح ، فلم يغير وجه التاريخ ولم يسهم فى تقدم الانسانية شيئا يذكر .

كل هذا أحضر فى الذهن مزايا تعاليم الرسول وفضل هدى ديننـــا الحنيف ، واذا كانت الامم تهتم بتخليد عظمائها وتجدد ذكرى كفاحهم بالاحتفال بأعياد ميلادهم ، فالرسول الكريم ـــ خير البشر وسيد الأنبيـــاء وأفضـــل المصلحين ـــ الأجدر بالخلود ، وتعاليمه وهديه أولى بالمذاكرة والمراجعة ، وبيان مزاياها وفضلها ، وخاصة فى مناسباتنا الدينية من مثل مولده الكريم الذى نحتفل به هذه الأيام .

لقد سبق هدى الرسول صلى الله عليه وآله وســـلم معلنا حقوق الانسان قبل أن تعلنها الوثيقة الحديثة عام ١٩٤٨ بقرون طويلة ، والواقع أن اعلان حقوق الانسان لم يأت بشىء لم ينطو عليه كتاب الله أو ســـنة رسوله ، ولقد رأينا كيف دهش المسئول الكبير بهيئة الأمم المتحـــدة عندما رأى

ان اعلان مبدأ المساواة والكرامة قد عبر عنه كتابنا الكريم بأعلى أسلوب وابلغه قبل اعلان المساواة في وثيقة حقوق الانسان بأكثر من ثلاثة عشر قرنا ، واعلان المساواة بالوثيقة الحديثة الفاظ بدون روح وعبارات لا يصحبها الايمان ، أما ما ورد بالكتاب العزيز عن المساواة والكرامة فهى تعاليم مؤكدة من لدن الخالق المبدىء .

يعبر الكتاب الكريم عن المساواة بوحدة الأصل ، أى كون مصدر الجميع واحدا ، ذكرا وأنثى ، ويكرر ذلك الكتاب العزيز بأسلوب آخر فيقول : **« والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا »** ويقول : **« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »** ويقول : **« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين »** ، ويحرم التمييز والتفرقة فيقول : **« .. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »** ويقول : **« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادّى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء »** ، ويقول الرسول الكريم : « الناس سواسية كأسنان المشط » .

أما مبدأ الكرامة الانسانية واحترام الفرد ذكرا كان أو أنثى ، فيتجلى فى جعل الله الانسان خليفة فى الارض ، وأمره الملائكة بالسجود لآدم ، وتفضيل بنى آدم على العالمين ، قال سبحانه : **« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »** ويقول : **« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »** ، وقال : **« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »** ، ويقول سبحانه : **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »** ثم ان الاسلام حض على اكرام الضعيف ونهى عن الاهانة حتى حين اعطاء الصدقات فقال : **« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى »** ، كما حث على اكرام الأسير وعتق الرقاب وجعل ذلك من أعظم الحسنات وكفارة عند ارتكاب بعض السيئات ، وحض الناس على أن يطعموا من تحت يدهم مما يطعمون ويكسوهم مما يكسون ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : « اخوانكم خولكم » .

فغرس الاسلام بتعاليمه الرشيدة مبدأ المساواة الانسانية وكرامة الفرد فى نفوس المسلمين حيث أعلن عن ذلك الخالق الذى يؤمنون به ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، لذلك يلتقى المسلم بأخيه المسلم وقد قدما من بلدين بينهما آلاف الأميال فلا يعنيه شكله ولا لونه وانما يعنيه انه يشاركه ايمانه بالله ورسوله ويشاركه الاعتقاد بمبدأ الوجود ومصير الوجود وما يتفرع عن ذلك من قيم ومثل : ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليه وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده هذه المبادىء تطبيقا واقعيا عمليا ، فكان الرسول نفسه — رغم عظيم فضله وارتفاع منزلته فوق العالمين — يجلس حيث ينتهى به المجلس ، ورضى من الدنيا بالقليل ، وقال : « انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » ، وقال : « سلمان منا آل البيت » ، واختار عتيقا حبشيا ليكون مؤذنه ، ولو أطلقنا العنان لما أثر عن كبار الصحابة والراشدين فى هذا الصدد لطال الكلام وضاق بنا المقام .

فما جاء به الاسلام من المساواة والعدالة والكرامة الانسانية هى

مبادىء مشتقة من الايمان بالله كما ذكرنا ، مبادىء صريحة صادقة فعالة ، ولا تعانى البيئة الاسلامية حتى اليوم ــ بالرغم مما حل بها من الفساد على مر الدهور ــ مما تعانى منه البيئة الغربية من مشاكل عنصرية عميقة المدى ، تتنكر فى كثير من الأحيان للانسانية ، وتفرق بين الأبيض والأسود والغربى والشرقى والرجل والمرأة ، كما تتجاهل كثيرا حق الفرد من الكرامة والمعاملة الحسنة العادلة .

اما مبدأ الحرية الفردية كما ورد باعلان حقوق الانسان فان الوثيقة لم تكفل شيئا لضمان تنفيذه ، وتركت فجوات واسعة ينفذ منها ذوو المصالح الجشعة والاغراض غير الشريفة ، ولم تصنها بسياج يحميها من عدوان النفعيين المنحلين وتوسعهم فى تأويلها وتفسير مداها ، فترى الصهيونيين مثلا يبالغون فى حرية الفرد وحقه فى الهجرة التى نص عليها (الاعــلان) للضغط على الحكومة الروسية للســماح لليهود من مواطنيها بالهجرة الى اسرائيــل ليستعمروا ما يغتصبون من أرضنا العربية الاسلامية ظلما وعدوانا ، وهم فى نفس الوقت يحرمون من هذا الحق مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين طردوهــم من بلادهم واغتصــبوا أرضهم وديارهم ، كمـــا يسىء الكثير من المسيطرين على الصحافة ودور النشر فى الغرب استعمال هذا الحق بدعوى حرية الصحافة وحرية التعبير فيستبيحون الطعن والذم ، ويخوضون فى حق من لا يتبع أهواءهم ، وينالون حتى من شخصيات الرسل والأنبياء الكرام ، كما أن الإباحيين يستغلون هــذا الحق فيستخدمونه فى نشر موادهم الفاتنة الخليعة داعين للفوضى والقضاء على الموروث من قيم ومبادىء خلقية ، فأصبح الاتصال الجنسى بين شخصين بالغين خارج الزواج أمرا عاديا فى نظر هؤلاء ومن قبل فلسفتهم من ملايين (المتنورين) المنحلين ، وينعون على من ينقد ذلك أو يسميه (بالزنا) ويعتبرون ذلك رجعية فاسدة ! فتيسرت وسائل منع الحمل كى يتمتع الشباب والشابات دون أن تتعرض الفتاة لمشـــاق الحمل ومتاعبه ، ولا تتردد الأم فى ذلك الجزء من العالم فى حض بنتها غير المتزوجة على تناول حبوب منع الحمل ، واذا حدث أن حملت الفتاة فان ذلك قد أصبح بحيث لا يضر سمعتها ، وأصبح اصطلاح (أم غير متزوجة) اصطلاحا مألوفا مستعملا ــ ومع هذا فهناك عيادات الاجهاض منتشرة فى البلاد تقوم بهذه العملية بسهولة وسرعة وعلى حساب الدولة أحيانا ، وكثر الترويج لمـــا يسمونه (الزواج المفتوح) الذى لا يلزم أحد الطرفين ــ أعنى الزوج والزوجة ــ بقصر نشاطهما الجنسى عليهما بل يزعمون أنه ينبغى فتح الباب لكل منهما للاتصال بالأجنبى والأجنبية جنسيا للترويح والتغيير ، ومن العجيب أنهــم يزعمون ــ وما أعجب ما يزعمون ــ أن هذا أدعى لدوام العلاقة الزوجية ، وبالتالى أنفع فى الجو العائلى ، معاذ الله !

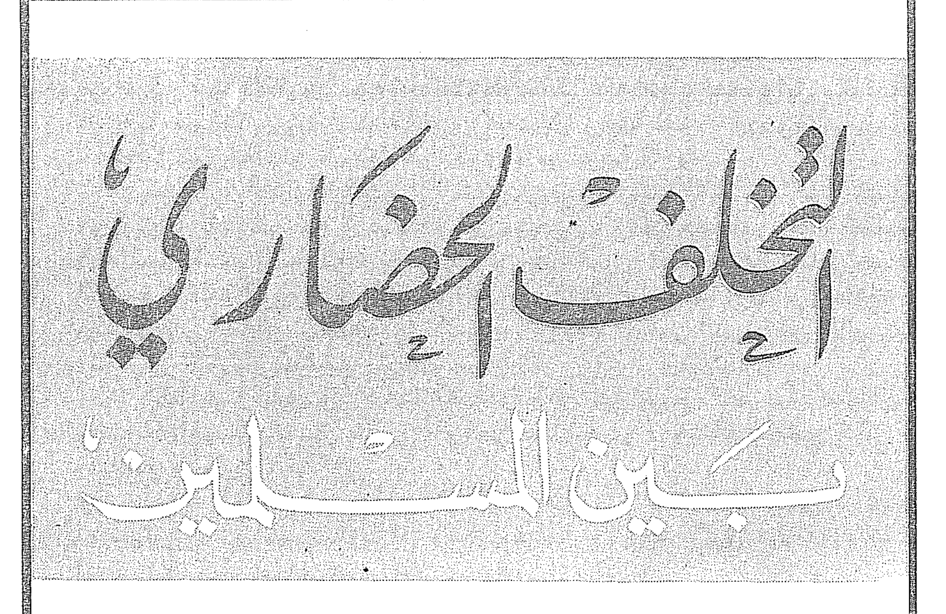
وحتى عبارة (الشــذوذ الخلقى) يريدون محوهـــا من القواميــس ؛ ويزعمون أنه كما أن هناك أفرادا يؤثرون الاتصال الجنسى بأفراد من الجنس الآخر ــ وهم غالبية الشعوب ــ فهناك من يؤثر الاتصال الجنسى بفرد من نفس الجنس ذكرا أو أنثى ، ثم يزعمون ويؤكدون أن ذلك أمر عادى وخلقى

وطبيعى ولا يسوغ اعتباره شذوذا أو خطأ ، ويزيدون فيقولون : إن القول بشىء من ذلك ظلم من الأغلبية للأقلية ، ونتيجة لأعمال الإباحيين كثر نشر الكتب والمجلات الخليعة وتعددت الأفلام الفاسدة الضارة المكشوفة المستهترة ، واضحى لمن نسميهم بذوى الشذوذ الخلقى نواد وجمعيات ومؤسسات دون حياء ولا خجل ، حدث كل ذلك باسم حرية الرأى وحرية التعبير مع مخالفة هذا كثيرا لمبدأ الحرية الصحيح كما يخالف كذلك – فيما نرى – مبدأ الكرامة الانسانية .

جاء الهدى المحمدى بمبدأ حرية الفرد ولكنه صان هذه الحرية وكفلها بما يضمن صالح الفرد والجماعة ويرضى الله تعالى ، يقول سبحانه : ((**انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا**)) ويقول : ((**وهديناه النجدين**)) ، ويقول : ((**لا اكراه فى الدين**)) ويقول : ((**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**)) ويقول : ((**فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا**)) ، ورفع الاسلام الحظر عمن تورط فى محظور مكرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)) ، ولكن الاسلام اذ يكفل الحرية الشخصية فانه يرعاها ويصونها ويصون صالح الفرد والجماعة ، فهى حرية فيما ليس بضار أو محظور ، فلا حرية فى العدوان على الحقوق والأعراض أو انتهاك حرمات الله ، ولا يسوغ نشر الفساد أو الاعتداء على القيم بحجة حرية الصحافة أو حرية التعبير ، والمسلم اذ يستغل حقه من الحرية التى كفلها له دينه يعرف أنه مسئول أمام الله وأمام ضميره ، محاسب على كل أعماله ، وهو يعرف ويؤمن بأن الله تعالى مطلع على كل ما يعمل ويعلم ما خفى فى الصدور ، فالحرية ليست قاصرة على المحظوظين بالسلطان أو النفوذ أو من يملكون دور النشر أو الصحافة ، أو على بعض الاجناس الانسانية التى تدعى لنفسها مزية على غيرها ، بل هى حرية يتساوى فيها الكبير والصغير والغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، وهى حرية للانسانية عامة وفى صالح الانسانية كلها ، ثم هى محدودة بحدود من الايمان وعمل الضمير ، لا بحدود ناشئة عن ضغط وارهاب ، وهى حرية ذات مغزى وروح تعمل فى السر والعلن والظاهر والباطن ، لا حرية قانونية جافة تحسب حساب البوليس والقضاء وضغط الرأى العام فتستبيح ما تشاء فى غيبة البوليس وغفلة أعين الناس .

فحقوق الانسان كفلها الاسلام على خير وجه ، وكان محمد بن عبد الله الذى نحتفل هذه الايام بذكرى مولده ، معلنها ، والداعى اليها ، وحامل لوائها ، والمبشر بها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الدكتور : محمد عبد الرءوف



للدكتور محمد البهي

* الحضارة هي الانتاج البشري : الفكري ، والوجداني ، والارادي ، لزيادة امكانيات الانسان في سعيه في الحياة ، وفي تغلبه على مشاق العيش فيها ، ولرفع مستوى انسانيته في تقدير ذاته ، وفي علاقة الأفراد بعضهم ببعض .

والحضارة بهذا المفهوم لها جانبان : جانب مادي .. وجانب انساني :

فالجانب الحضاري المادي هو ما يتمثل في تقدم البحوث العلمية التجريبية وفي مدى تطبيقها في المجالات الصناعية المختلفة . أي يتمثل في تطور العلوم الطبيعية . وعلى وجه أخص في علوم الحيوان — والنبات — والمعادن — والكيمياء ، وفي قيام الصناعات التي تؤسس على نظرياتها المتجددة ، لخدمة الانسان في المرافق العديدة : في السكن ، والنقل ، وفي وسائل التعليم ، ووسائل الوقاية من الأمراض أو المعالجة منها .

والجانب الحضاري الانساني هو ما يتمثل في المستوى السلوكي الرفيع وفي حسن العلاقة بين الأفراد التي تقوم تلك العلاقة على الاحساس المشترك بالقيم الانسانية ، متجاوزة الاحساس بعلاقة الدم ، والأسرة ، والقبيلة ، والعرق والعنصر .

وتوضع الحضارة — عند توضيحها — في مقابل البداوة . وهي الفطرة الأولى للانسان قبل تهذيب طبيعته . ولهذه البداوة مظاهر في أسلوب الحياة ، وفي السلوك ، وفي المعاملة ، تنم جميعها عن دفع أناني يسيطر في الانسان . فحياة البدائي لا تقوم على بساطة الوسائل المادية فحسب في السكن والنقل ،

والمعيشة . بل كذلك استخدامه لهذه الوسائل يدل على تشبثه بالبقاء وحده ، فى غير رعاية للآخرين معه ، وسلوكه يصدر فيه عن ارتباط وثيق بالذات ، دون ما سواها . ومعاملته للآخرين تبعد كل رعاية لحق : فى وجودهم وفى حياتهم المشتركة معه ، وان كانوا ذوى قربى قريبة له .

وهكذا : البداوة والحضارة مفهومان يستخدمهما الانسان : مرة للتعبير عن وقوفه عند طبيعته ، مغلقة وغير مشذبة ، وعند خصائص هذه الطبيعة فى المعيشة ، والسلوك ، والمعاملة . ومرة أخرى للتعبير عن تجاوز هـذا الوضع المغلف الى وضع التفتح والتطور والتحرك نحو ما يزيد فى طاقاته ، ويعينه على اجتياز الصعاب فى الحياة ، ويوثق أواصر القربى فى الانسانية بينه وبين الآخرين معه فى المجتمع .

وكما هما مفهومان ، هما أيضا مرحلتان فى تاريخ الانسـان ، وتاريخ مجتمعه . فهناك انسان بدائى ، وآخر حضـارى . وهناك مجتمع بدائى ، ومجتمع حضارى .

* وجانبا الحضارة ـــ وهما الجانب المادى ، والجانب الانسانى ـــ ليسا متساوقين . أى ليس بلازم اذا وجد أحدهما ان يوجد الآخر حتما . فالتقدم الحضارى المادى هو تقدم فكر ، وعلم ، وتجربة ، وصناعة . والتقدم الحضارى الانسانى هو تقدم وجدان ، وعمل ارادى ، وخلق وسلوك . وهنا قد يوجد انسان أو يوجد مجتمع ، متقدم فى الحضارة المادية ، وهو بدائى أو انانى فى السلوك والمعاملة . كما قد يوجد العكس . وهو انسان أو مجتمع متقدم فى السلوك والمعاملة ، أى غير انانى فيهما ، وهو مع ذلك غير صاحب حضارة مادية ، أى غير صاحب حضارة علمية تجريبية ، وصناعية . وحضارته فى السلوك والمعاملة حضارة انسانية ، يشارك بانسانيته الآخرين معه فى مجتمعه : يحسن ولا يسىء .. وينفع ولا يضر .. ويطمئن ولا يرهب ... ويتحمل ولا يندفع .

ولأن الجانب الحضارى المادى يلفت النظر أكثر من الجـانب الآخر الانسانى : يقع كثيرون ممن يجذبهم التقدم الصناعى أو التيكنولوجى فى حياة المجتمعات المتطورة صناعيا تحت اعتبار : ان التقدم الحضارى المادى يستتبع كنتيجة له مسلمة : تقدما حضاريا فى مستوى الانسانية .. وأن التخلف فى الحضارة المادية والصناعية يلازمه كذلك حتما : التخلف فى الحضارة الانسانية أو تلازمه البدائية . ويستخلصون من ذلك : أن المجتمع أو الانسان الفرد صاحب الحضارة الصناعية هو مجتمع أو انسان ذو تقدم أيضا فى المستوى السلوكى الانسانى ، وبالتالى يفضل ذلك الانسان أو المجتمع الذى لم تكن له هذه الحضارة المادية . وازاء ما يستخلص على هـذا النحو : تكون الريادة لصاحب الحضارة المادية ، وتكون التبعية أو التقليد والمحاكاة له : من فاقد هذه الحضارة .

وينسى هؤلاء الذين يقعون تحت اغراء التقدم الصناعى التيكنولـوجى ، ويستخلصون بسبب وقوعهم تحت اغرائه منطقا حزبيا : أن مقياس الحضارة الانسانية هو فى مدى البعد عن الأنانية فى السلوك ، والمعاملة : نحو الذات ، أو نحو الآخرين . والمنطق المجرد عن التأثر بالاغراء المادى أو بالانجذاب الى

عامل غير موضوعي : ان صاحب الحضارة المادية هو صاحب ريادة حقا في هذا الجانب من غير شك يجب أن يحاكي ويقلد فيه ممن هو متخلف فيه . وهو أيضا يمكن أن يكون صاحب ريادة في الجانب الحضاري الانساني اذا توفر له بالفعل مستوى الحضارة الانسانية في البعد عن الأنانية .

ولكن اذا كان هو يستخدم تفوقه في الحضارة المادية : الصناعية والتيكنولوجية في التخريب والتدمير وسفك الدماء ، أو في الارهاب وقهر الآخرين واكراههم على ما لا يقبلونه مختارين وفي مشيئة حرة .. أو يستخدم هذا التفوق الحضاري الصناعي في استغلال الآخرين ، ويصبح بهذا التفوق ذا نزعة استعبادية ، لا يعرف الحق الا من طريق القوة المادية وحدها ، ولا يعترف للآخرين الضعفاء بحق الحياة في وجود مشترك ، فانه عندئذ يكون متخلفا في الجانب الحضاري الانساني ، رغم تقدمه في الجانب الآخر الصناعي وبالتالي ليست لديه صلاحية : أن يكون رائدا ومتبوعا في الجانب الانساني ، الذي هو ثمرة الوجدان ، والعمل الارادي ، وحسن الخلق والسلوك .

ولكن كذلك : اذا كانت بعض المجتمعات الحضارية حضارة صناعية تبيح ممارسة اللواط في الوقت الحاضر ويتبنى القانون حماية هذا الشذوذ الجنسي بين شباب الجامعات في نواديهم الجامعية (١) .. أو يبيح تبادل الزوجات (٢) بين الأزواج في النوادي أو في المساكن الخاصة .. أو ينهي عهد الزواج وتكوين الأسرة على النحو المتعارف ويستعيض عن الزوج بأزواج، وينسب الابن الى أمه بعد ما اختلطت الأنساب وضاعت بين الرجال العديدين : فان هذا البعض من المجتمعات الحضارية الصناعية يفقد الصلاحية في المستوى الحضاري الانساني ويجعله مساوقا للانسان البدائي في الغابات ، الذي لا يعرف ستر عورته ، ولا تخير المرأة التي يعاشرها .

* والمسلمون في حاضرهم يقلدون في خطواتهم الحضارية أصحاب التفوق في الحضارة المادية : العلمية والتيكنولوجية . يقلدونهم في مصانعهم . ويقلدونهم في أسلوب حياتهم . ويقلدونهم في سلوكهم نحو ذواتهم ، ونحو الآخرين معهم في مجتمعاتهم . أي أنهم يقلدونهم في جانبي الحضارة : المادية الصناعية ، والانسانية السلوكية .

وتقليدهم للمتفوقين في الحضارة الصناعية اذن هو تقليد في تفكيرهم ، وفي علمهم التجريبي ، وفي وجدانهم ، وأخيرا في عملهم الارادي وتصرفاتهم . ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي : ان هؤلاء اذا كانوا مصلحيين ونفعيين أو « پرجماتيين » .. واذا كانوا انتهازيين أو استغلاليين .. واذا كانوا استعماريين أو قراصنة : فان المصلحية ، والانتهازية ، والقرصنة لا ينكرها أولئكم الذين يقلدونهم تقليدا مطلقا ، لأن هذه الاتجاهات هي اتجاهات سلوكية تقوم على ايثار الذات ، والأنانية ، وعلى عدم رعاية حرمات الآخرين .

ومعنى هذا التقليد المطلق لأصحاب التفوق الحضاري المادي ، العلمي والصناعي ، من المسلمين : هو أن هؤلاء المسلمين اذا أفادهم التقليد في التقدم الصناعي والعلمي لزيادة قدراتهم على اجتياز المصاعب والمشاق في حياتهم ومعيشتهم ، فانه سيضرهم حتما : تقليدهم في الجانب السلوكي

لأصحاب هذا التقدم . لأن المسلمين فى حاضرهم يغلب عليهم الميل الأنانى بحكم الضعف ، والفاقة رغم ثرواتهم العديدة المصادر ــ وهو ميل غير اسلامى أو هو ضد الاسلام ــ فى روابط بعضهم مع بعض . وهم فى نهضتهم وفى بعثهم للحياة الكريمة من جديد فى حاجة الى روح المشاركة والجماعة بينهم ، كى تكون لهم قدرة يدفعون بها التخلف فى الجانب الحضارى المادى ذاته .
فاذا بقى الميل الأنانى مسيطرا بينهم بجانب ضعف المستوى الحضارى الصناعى والعلمى لديهم فسيظلون ضعفاء .. ويظلون متخلفين فى الحضارة بمفهومها العلمى ، والانسانى .

* والمسلمون لم يكونوا بدائيين عندما كونوا مجتمعهم الانسانى . وانما كانوا أصحاب حضارة انسانية ، ثم أصبحوا ــ بعد حين ــ بالاضافة الى ذلك : أصحاب حضارة فكرية ، وعلمية ، وان لم يصبحوا بعد فيمـــا مضى أصحاب حضارة تيكنولوجية بالمفهوم المعاصر .

كانوا أصحاب حضارة انسانية . لأن تكوين المجتمع الاسلامى ، ونقل أفراده عن طريق الدعوة الى الاسلام : من المجتمع الجاهلى ، وهو المجتمع المادى الأنانى .. الى مجتمع انسانى صاحب روابط انسانية ، وصـــــاحب مشاركة جماعية : هو فى ذاته تحول حضارى وتحرك نحو الجانب الحضارى الانسانى . فدعوة الاسلام هى دعوة عن التخلى عن الأنانية ومظاهرها المختلفة التى تقوم على أساس منها : المجتمع المادى الأنانى أو الجاهلى .. هى دعوة فى الوقت نفسه الى قيام الروابط الانسانية على أساس من القيم الانسانيـــة العليا وحدها . وهى تلك القيم التى تكون المستوى الفاضل للانسانية ، التى من بينها التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتى من اجلها كان الميل الاجتماعى لدى الانسان فى طبيعته ، ولتحقيقها كان المجتمع الانسانى فى وجوده .

فالمجتمع الانسانى ليس مجتمع عدد : فى كثرة أو قلة . وانما هو مجتمع قيم انسانية يترابط الأفراد فيه على أساس منها . ومن أجل هذا الهدف فى حياة الانسان اختلف الانسان عن الحيوان ، والنبات ، مع أن هناك جامعـــا مشتركا بين الثلاثة ، وهو النمو الكمى والمادى .

والقرآن يشير الى هذا الجامع المشترك فى بعض آياته . فيقول تعالى : « **فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من انفسكم أزواجا ، ومن الأنعـــام أزواجا ، يذرؤكم فيه** » (أى يكثركم وينميكم) « الشورى ــ ١١ » .. فيجعل هدف الزوجية من الذكورة والأنوثة فى خـــلق الانسان والحيـــوان هو الكثرة والنمو المادى . ويقول أيضا : « **سبحان الذى خلق الأزواج كلها ممـــا تنبت الأرض ، ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون** » (يس ــ ٣٦) .. فيشير الى عامل الكثرة والنمو المشترك بين النبات ، والانسان ، وما لا يعلمه الانســـان مما يتكاثر فى ملكوته سبحانه وتعالى .

ثم يفرد القرآن : الانسان بهدف آخر وراء النمو والتكاثر ، وأسمى منه . وهو هدف المجتمع الانسانى من تحقيق القيم العليا فى روابط الأفراد بين بعضهم بعضا . فيقول جلت قدرته : « **ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقـــوم يتفكرون** » (الروم ــ ٢١) .. فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

يتفكرون » الروم ــ ٢١) .. فيحدد هذا الهدف الآخر بأنه السكنى والاطمئنان

والمودة ، والرحمة ، فى العلاقات بين الأفراد . وهذه القيم العليا الثلاث تلتقى عندها جميع القيم الأخرى . فهى المصب الذى تصب فيه كل قيمة عليا انسانية . فالتعاون ، والتضامن ، والكرامة البشرية ، والحرية الانسانية ، والاخوة .. وغيرها اذا تحققت تحقق الاطمئنان ، وتحققت المودة ، وتحققت الرحمة حتما بين الأفراد .

والقرآن يفرد هذا الهدف الانسانى للمجتمع الانسانى ، بعد ان افرد أيضا بتعبير خاص الغاية المشتركة فى خلق الانسان ، بينه وبين الحيوان ، والنبات ، وهى غاية التكاثر والنمو ، فى قوله : « **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة** » (النحل ٧٢) .. حتى لا تلتبس احدى الغايتين بالأخرى ، وحتى اذا ما حقق الانسان غـاية النمو والتكاثر وحدها ، دون الغاية الأخرى : يبقى الانسان فى الدائرة المشتركة بينه وبين الحيوان والنبات ـــ وحدها . وعندئذ لا يتميز عنهما بميزته الانسانية ، وهى ميزة اجتماعية ، اى ميزة تكوين المجتمع وتحقيق أهدافه .

فتكوين المجتمع الاسلامى القائم على توجيه القرآن هو تكوين تصحبه ظواهر الحضارة فى جانبها الانسانى . والجاهليون أو الماديون الذين انتقلوا الى المجتمع الاسلامى يومذاك ، استجابة للدعوة الاسلامية ، انتقلوا اليه مؤمنين بهدفه . وهو تحقيق القيم الانسانية فى علاقة بعضهم ببعض . وهى قيم حضارية ، تمثل الجانب الحضارى الانسانى .

فدعوة الاسلام هى دعوة الى تهذيب الوجدان فى الانسان وجعله فى خدمة التعاطف ، والتواد ، والتعاون ، والتماسك . ودعوة الى تنمية العمل الارادى وجعله فى خدمة السلوك السوى ، والسلوك الانسانى الكريم ، بعيدا عن الاغراء بالمتع المادية والوقوع تحت ما يشتهى منها .

ان المجتمع المادى يكون مجتمعا ذا طابع أسرى ، أو قبلى ، أو عنصرى ، لأن الرباط بين افراده آنئذ هو رباط مادى ينبثق من الاسرة ، أو القبيلة ، أو العنصر والعرق . والمجتمع الانسانى هو ما يسمو الترابط فيه الى مستوى القيم الانسانية وحدها . والقرآن يمتن على المؤمنين به فى قوله تعـالى : « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا ، واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها** » (آل عمران ١٠١ ـــ١٠٣) : يمتن عليهم بأنه نقلهم بايمانهم بالله وحده وبهدايته فى كتابه من دائرة القبيلة التى كانت مثارا للفرقة والخصومة ـــ وهى دائرة مادية ـــ الى محيط الانسانية وقيمها ، وهو محيط يشمل الناس جميعا . وبذلك تبتعد الفرقة فيه ، كما تبتعد الخصومة ، ومحيط الانسانية محيط غير مادى . لأنه فوق الروابط التى تقوم على أساسها التكتلات المحدودة بالمكان ، أو العنصر . ومن هنا كانت الدعوة الاسلامية دعوة الى الانسانية ، فوق الروابط المادية .

والمجتمع الذى يدعو اليه الاسلام هو مجتمع انسانى يقوم اذن على الروابط الانسانية وحدها . والروابط الانسانية وما يحققها : جانب حضارى للانسان ، يقابل الجانب الآخر المادى له ، وهو الجانب العلمى والصناعى .

وهذا الجانب الحضارى الانسانى أوصل المسلمين فيما بعد الى ان يكونوا أصحاب حضارة علمية وفكرية يوم نقدوا الفكر الاغريقي فى وثنيته ، فى الوقت الذى أضافوا فيه الى معارف الاغريق الطبيعية والرياضية ، ما جعل من الجانبين ـــ الاغريقى ، والاسلامى ـــ مصدرا للبعث والنهضة العلمية فى أوربا ، تلك النهضة التى أتت بهذا التقدم الصناعى والعلمى المتفـــوق : للمجتمعات الغربية المتطورة فى حاضر المسلمين اليوم .

* ومسلمو اليوم انفكوا عن الارتباط بهدف المجتمع الاسلامى ، فى دائرة التعاون ، والتضامن ، والتآخى . وانحدروا الى خصيصية المجتمع المـــادى ، أو المجتمع الجاهلى . وهى خصيصية الأنانية والحركة فى دائرة الذات وحدها وآثروا الترابط على أساس المنفعة المتبادلة .. أو أساس العرق والعنصرية .. أو أساس نظام الحكم الدخيل المشترك .. أو أساس وحدة التبعية للأجنبى عنهم . وبذلك يعيشون فى تخلف فى الجانب الحضارى الانسانى ، كما تعيش الآن لفترة ما : تلك المجتمعات المادية المتطورة تطورا صناعيا فى دائرة الذات ، بعيدة عن المستوى الانسانى الحضارى الذى يتم على اســـــاس من القيم الانسانية العليا .

واذا كان تخلف المسلمين فى الجانب الحضارى المادى أو الجانب العلمى والتيكنولوجى يمكن أن يتجاوزوه بتقليدهم للمجتمعات الصناعية العلمية ، ونقلهم من تجاربها ، ومن منهاجها وسبلها فى البحث والتطبيق : فتخلفهم فى الجانب الحضارى الانسانى لا ينفعهم فى تخطيه : اتباع مبدأ الفصل بين الدين والدولة ، كما ينصح المجددون بينهم .. ولا استيراد نظام مادى يقـــوم على أساسه الحكم ، كما يروجه فيهم بعض المشتغلين بالسياسة . كما لا يعوض التخلف فى هذا الجانب لديهم : جدهم ـــ لوجدوا ـــ فى نقل الحضارة الصناعية العلمية ، والتوسع فى هذا النقل الى ابعد حد . لأن الصناعة اذا كانت ركنا من أركان الحضارة ، فمستوى الانسان هو الركن الآخر أو الأول فيها . وطالما لا يكون هو متحضرا فى مستواه الانسانى فلا ضمان لبقاء حضارته الصناعية والعلمية . وبقاء المجتمعات الصناعية العلمية المعاصرة الآن هو بقاء مؤقت ، بعد ما انحدرت الى المادية وسيطرت مظاهر الجاهلية فى المستوى الانسانى على علاقات بعضها ببعض ، وعلى الروابط بين الأفراد فيها .

وبعد حين ـــ طال الزمن أو قصر ـــ ستصطدم هذه المجتمعات المعاصرة بعضها ببعض . لأن المنافع المادية ستفرق حتما بينها . كما اصطدمت فى الحربين العالميتين : الأولى ، والثانية . وقد كان التنازع على المواد الأولية أو الحصول على قسط منها هو السبب الحقيقى الذى أدى اليهما . وسياسة : « الوفاق » فى الوقت الراهن هى سياسة مصطنعة ، وهى سياسة مؤقتة كذلك .. هى أشبه بهدنة للتمكن من الاستعداد للحرب الثالثة القادمة . وهى حرب لا مفر منها : اليوم .. أو غدا .

* والمسلمون فى مجتمعاتهم المعاصرة اذا أرادوا حقا اجتيـــاز التخلف الحضارى : الصناعى العلمى ، والانسانى ، معا : يجب أن يسلكـــوا نفس التجربة التى خططت لها الدعوة الاسلامية . اى يجب أن ينتقلوا من الوضع الجاهلى أو الوضع المادى الأنانى .. الى الوضع الانسانى . يجب أن تقوم

الروابط بينهم على أساس من الأخوة فى الايمان بالله وحده .. وان يبتعدوا عن الانحراف فى استغلال المال وبالأخص عن الربا .. وأن يجعلوا ملكيــة المال الخاصة سبيلا الى المنفعة العامة ، ينتفع به المالك وغير المالك له من اصحاب الحاجة على السواء ، دون أن يقصروا منفعته على المالك وحده فيمعن فى الترف ، بينما تأخذ الحاجة برقاب غير المالكين له .. وأن يتجنبوا الجرائم الاجتماعية ، وهى جرائم الاعتداء على الأعراض ، والأموال ، والنفوس .. وأن يوفروا الكرامة البشرية والاعتبار البشرى للضعفاء بينهم .. الى غير ذلك مما تخطه الدعوة الاسلامية فى منهج تطوير المجتمع (٣) .

فالمسلمون المعاصرون فى حاجة الى نقل انفسهم من وضع الجاهليين الأنانيين .. الى وضع الانسانيين الــــذين يستهدفون تحقيق القيم العليا الانسانية فى سلوكهم ، ومعاملاتهم ، ومواقفهم ، وفى ترابطهم : قبل نقلهم المصانع والتجارب العلمية الطبيعية ، أو معها على الأقل ، حتى يمكنهم أن يسخروا طاقات المصانع ونتائج التجارب العلمية فى سبيل قوتهم وبقائهم .. وحتى يمكنهم بالتالى . أن يضيفوا الى الصناعة والتجارب العلمية جديدا اليها اذا استوعبوها ، كما صنع أسلافهم من قبل ، يوم أن أضافوا الى الفكر الاغريقى : فكرا اسلاميا جديداً ، أعطاه الصلاحية لأن يكون مصدر النهضة الأوربية الحديثة ، ثم المعاصرة .

ولعل التحرك الاسلامى الحاضر ، نحو تأسيس بنك اســــلامى .. ومشروعات للتنمية فى البلاد الاسلامية .. ونحو مؤتمر لوزراء الاقتصاد فى هذه البلاد .. ونحو مؤتمر قمة اسلامى لبعث التضامن الاسلامى كجزء فى السياسة الاسلامية المعاصرة : يكون تعبيرا عن الرغبة الأكيدة نحو الانتقال الى الوضع الاسلامى ، كما تنشده دعوة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام.

ولعل ذكرى ميلاد هذا الرسول الكريم صاحب الاعجــــاز بأميته ، وبموضوعية كتابه : تثير من عام الى عام وعيا أقوى نحو خروج المسلمين من تخلفهم الحاضر الى المستوى الحضارى الانسانى ، فالمستوى الصناعى العلمى فالحياة الانسانية الكريمة التى تستمر فيها الآلة والعلم لخدمة الانسان ، وليس الانسان للآلة وللتجارب العلمية .

---

(١) حكم القاضى الاتحادى Huge Bownes بولاية New Hamp Chire من الولايات الامريكية فى القضية التى رفعتها منظمة طلاب المتعة ضد الجامعة هناك بان مجموعة الطــلاب التى تمارس متعة اللواط لها الحقوق الكاملة فى ممارسة هذه المتعة فى منطقة الجامعة ، طبقا للتعديل الاول الرابع عشر . ونشر هذا الحكم فى الصفحة الثالثة فى عدد ٢٨/٣٠٧ من صحيفة Herald Tribune. بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٧٤ .

(٢) كما هو شائع الآن فى المجتمعات الغربية المادية .

(٣) كتاب منهج القرآن فى تطوير المجتمع — وهو من مؤلفاتنا ، طبع دار الفكر ببيروت — يحاول توضيح نقل المجتمع المادى الى مجتمع اسلامى أو انسانى وتحديد المراحل التى تبتدىء بالتنديد بالظواهر المادية فى المجتمع المادى .. حتى مرحلة الامر بما يحقق المستوى الانسانى للفرد والمجتمع .



من عيد الهجرة إلى عيد المولد

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

يوم الخميس ١ محرم عام ١٣٩٤ كان يوما ثقيلا ينوء بحمل تاريخ كبير من أمجاد هذه الأمة .

يوم يحمل ينبوع وجودها ، وسر أمجادها ، ومبعث عزتها ، وروح وحدتها ! ..

كان يوما ارتسم على شمسه الباب العظيم الذي دخلت منه هذه الأمة الى التاريخ ثم تبوأت عرشه ، وقد كانت قبل ذلك ملقاة على هامشه ، شاردة وراء سوره ! .. ذلك لأنه كان يوم الهجرة ! ..

فكيف استقبله المسلمون عندنا ؟.. وكيف احتفلوا به ، وكيف أكرموا مقدمه ؟

لا شيء .. لقد أقبل اليوم ومر كما يمر أي آخر دون أن يأبه به أحد . ولقد طلعت شمسه ، ثم ارتفعت ، ثم استوت في قبة السماء ، ثم دلفت الى مغربها وغابت فيه ، وليس في الناس من يحفل بها ، أو يلتفت الى عظيم ما تحمله من تاريخ ، أو يستهدي بشعاعها الى غابر مجد لهذه الأمة سجدت له الدنيا كلها ذات يوم !! ..

وهكذا دخل اليوم الاول من عام هجري جديد ، دخول اليتيم الى دار لا عشيرة له فيها ولا أهل . ولكنه هنا يتيم بين أهله ، وغريب بين قومه وعشيرته .

وقبل ذلك بشهر او اقل ، دخلت

اجراس الكنائس واحتفالاتها بيصوت المسلمين كلهم ، وسمعوا ذلك كلـه طوعا أو كرها ! .. وازينت الاسواق وزخرفت الحوانيت والمحال التجارية بالاضـاءات الملونة واشجـار (الكريسمس) واغرقت واجهاتهـا بالقطن الذى صيغت منـه عبارات ، وشكلت به شعارات ، تماما كما هـو الشأن فى اى سوق من أسـواق أوروبا ! .. وتجلت هذه الصـورة ذاتها لا فى الأندية والملاهى العامـة فقط ، بل تجاوزتها الى داخل كثيـر من البيوتات الاسلامية العريقة ! .. حيث احتفلت الأسر وتجمع أفرادها ــ على الطريقة الأوروبية ذاتها ــ فى سهر صاخب الى مطلع الفجر ..

كل ذلك ، احتفالا بقدوم عـام ميلادي جديد ! ..

ويأتى بعد ذلك يوم الهجرة ، بكـل ما يحمله من ذكريات ، وبكل ما سجل فيه من تاريخ وعز ، فلا يرتفع لـه شعار ، ولا تبتهج به دار ، ولا تحس به فى سوق ، ولا تسمع عنه فـى اذاعة أو نحوها !! ..

الا يا حسرتا على الأمة التى لـم يكن يعرف عـز الارض الا بهـا ، فأصبحت وذل الارض لا يعـرف الا بها . أمة لا تقاسى الهوان ولكـن تتعشقه ، ولا تعانى من الذل بـل تستريح اليه ، ولا تبتلى بالضيم وانما ترحب به ! ..

يا هؤلاء الناس ! .. ما الـذى نفعكم مما يفعله المستعمرون فـى افتتاحات أعوامهم الميلادية فتقلدوهم فى ذلك أتم تقليـد وتسبقوهم فى الابتهاج بها والصخب من حولهـا ، وصبغ بيوتكم واذاعاتكم بشعاراتهـا وايحائها ؟ .. وما الذى ضركم مـن تاريخكم ورأس عامكم الهجـرى ــ وانما هو عنوان وجودكم ، ومسرح أمجادكم ، ومنفـذ سلطانكم ــ فتعرضوا عنه هذا الاعراض وتنسوه هذا النسيان ؟

أفمن الحتم عليكم ــ وقد فرغتم أنفسكم لوظيفة التقليد ــ أن لا تعرفوا لعامكم الهجرى معناه وأن لا تـؤدوه حقه ، الا بعد أن يسبقكم الى ذلـك أولئك الأسياد ، فيحتفلوا به لكـم ويؤدوا حقوقه عنكم ، فتفعلوا مثلـه بدوركم تقليدا ، وتنهجوا نهجهـم محاكاة واتباعا ؟ ..

أم هل من الحتم اذا قام الخطبـاء فى مساجدهم يذكرون بهذا اليـوم وخطورته وينبهون الناس والمسؤولين الى حقوق هذا اليوم والقيام بواجباته أن يظهر من إعراض الناس عنهم ما يصبح تكذيبا لهذا الحق ، وعقوقـا لهذا اليوم ، وكفرانا لفضله وجميـل أياديه ؟!

يا هؤلاء الناس ! .. من أنتم ، بل ما أنتم لولا الهجرة ؟!

أى اسم كان يذكر لكم فى العالم ، أم أى وطن كان يحويكم، أم أى أرض كانت تقلكم أم أى حضارة كانت تنتسب اليكم ، لو لم تكن الهجرة ؟! ..

هل كنتم تعرفون اسم الشآم التى تفخرون بأمجادها ، أو العراق التـى تتباهون بحضارتها أو مصر التـى تعتزون بتراثها ، بل هل كانت لكـم فلسطين تذودون عنها ، أو ثـروة تخيفون العالم بسلاحها لو لـم يبعث فيكم هذا النبى الأمى القرشى ، ولو لم ينفذ أمر ربه فيهاجـر الأرض فى سبيل المبدأ ، ويترك الوطن فى سبيل العقيدة ، ولو لم يجعل الله له مـن أرض هجرته (المدينة) منطلقا الـى شرق العالم وغربـه وشمالـه وجنوبه ؟! ..

ماذا تقولون غدا لعلام الغيوب ، اذا أخذكم بجريرة هذا النكران ، ثـم

اخذكم بجريرة تقليد لا فائدة فيه واتباع لا حكمة من ورائها ؟ ..

أولادكم يا مسلمون .. يستيقظون من طفولتهم الصغرى على الطنين والرنين اللذين تعج بهما ليلة رأس السنة الميلادية ، يرتضعون منكم لبان عاداتها وتقاليدها ، وتفيض آذانهم بأحاديث المعلقين من افراد الأسرة وغيرهم على نهاية العام الماضى .. وبداية العام الجديد ، والتقاليع المستوردة لتوديع ذاك واستقبال هذا ! .. حتى اذا بلغ الطفل أشده استحكمت الصورة فى أغوار نفسه وانصبغ بها عقلا وطبعا ووجدانا ، وتهيأ له — مما غذى به — أن أيام السنة ان هى الا دائرة مغلقة متماسكة ، لا ينتهى ذيلها الا عند راسها الوحيد : أول كانون الثانى حيث رأس السنة الميلادية ! ..

أما الهجرة والحديث عنها ، فكلام كالطيف كان يردده الاجداد .. وأما مكانها من دائرة العام وايامه ، فقد عفى عليه الصدأ والقدم ، ولم يبق منه الا رمز كالطلل ، وأشبه ما يكون بشارة على قبر مهجور ربما ذكر بعض العابرين بقراءة الفاتحة ! ..

أفيسعدكم يا مسلمون أن تربوا أولادكم على هذا النهج ؟ ..

أفلا يؤرق لكم بالا ، أن تقبلوا الى الله غدا تحملون أوزار هذه التربية على ظهوركم عذابا من الله ونكالا ؟ ..

● ● ●

أكتب هذا الكلام ، وان ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلوح لى من بعيد ، ولعل كلامى هذا لن ينشر الا والمسلمون فى أنحاء عالمهم الاسلامى يستقبلونها ، وينصرفون الى الاحتفاء بها والاحتفال لها .

ولكنى أعتقد أن المسلمين مهما فعلوا فى استقبالهم لهذه الذكرى ، فان جميع ما يفعلونه لن يقع موقع القبول من صاحب الذكرى محمد عليه الصلاة والسلام .

ان الأمة التى تصدق فى احتفائها بمولد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم ، لا تذهب هذا المذهب العجيب فى احتفالاتها التقليدية برأس السنة الميلادية . وقد علمت جيدا أنها لا تسترضى بذلك قلب عيسى عليه الصلاة والسلام ، وانما تسترضى به نظرة أجنبية الى هذه الأمة !.. نظرة ترمى بشرر من الحقد على دينها وغابر عزها وأمجادها !.. نظرة لا تقوم الدنيا الا من خلال الأحقرين : متعة الفرج ومتعة البطن ! ..

فتعالوا نكن صادقين — يا مسلمون — فى احتفالنا بذكرى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذه المرة . ولنفسر صدقنا هذا بسلوك يمسح عنا ماضى آثامنا ويرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنا .

ان عواطفنا الاسلامية — ولله الحمد — قد غدت مشبوبة وناضجة وما رأيتها فى عهد من العهود أنضج منها اليوم .

ان كلا من ظروف الحرب والسلم، وموقف الدول الأجنبية — صديقة وعدوة — منا ، وعبر الحياة التى نراها من حولنا والمآسى التى لاحقتنا يوم ابتعدنا عن حمى اسلامنا — كل ذلك قد أورثنا يقينا لا يتزعزع بأن الاسلام من حياتنا كالروح من الجسد وكالماء البارد من الكبد الحرى .. وبأن مشكلاتنا على اختلافها — لا يمحقها الا الاسلام عقيدة أولا ونظاما وأخلاقا ثانيا .

وقد ولى العصر الذى كان يتجمل فيه بعض الناس بالالحاد ، ويجاهر

بالفسوق والكفران . انها اليوم (موضة) قديمة ، وتقليعة بائدة .

ان ملاحدة الأمس ، يتنافسون فى عرض عظمة الاسلام اليوم ! ..

وان الدنيا كلها قد علمت أن الالحاد ليس الا ظاهرة مرضية ، تتسلل الى الفكر بواسطة جرثومة من أهواء النفس ، أو عقدها ، أو عصبيتها ، أو ردود فعلها ! .. وليس بعد الاسلام من ملجأ لأى فكر حر ، بعد أن تخلص من وباء الالحاد .

واذا فما جمودكم اليوم يا مسلمون ؟ .. يا مسلمون : علماء ومثقفين ومدرسين وعمالا وموظفين ؟

كيف تستقبلون مولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، من سجن هذا الجمود ، وقد علمتم أن ميراثه الوحيد الذى وضعه فى أعناقكم انما هو النهوض بأعباء الدعوة الى الله ؟ ..

أو لا تزالون تعيشون فى تلافيف تلك الضلالة التى تزعم على السنة كثير من الجهال بأن للاسلام (رجال دين) هم المسؤولون عن الدفاع عنه اذا هوجم ، وعن أحيائه اذا ذبح ، وعن اعادة تشييده اذا هدم ، وأن غيرهم ليسوا الا نظارة يتخذون أماكنهم أمام المسرح ؟!..

لقد آن لنا ، جميعا ، أن نستغفر الله من هذه الضلالة البشعة ، وأن نقف خاضعين خاشعين أمام قول الله عز وجل :

«ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » .

ثم أمام قول رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

ثم أن نبسط إيمانا صادقة الى الله عز وجل نبايعه بها على أن نكون ــ وقد انتسبنا الى حزبه ــ أعضاء عاملين لا أشخاصا تقليديين .

انكم لتكثرون الكلام فى هذه الأيام عن الجهاد ، وتسمعون عنه كثيرا ، ولكن اعلموا أن أهم جهاد يستنفر له الاسلام المسلمين جميعا ، فى هذا العصر ، انما هو جهاد الدعوة الى الاسلام والتعريف به ، بقلب متحرق صادق لله عز وجل .

ولست أعنى أن قتال العدو الذى يستحل أرضنا يأتى فى الدرجة الثانية من هذا الجهاد ، أو انه ينبغى أن يؤخر الى ما بعد قيام المسلمين بواجب الدعوة الى الاسلام ، لا .. ليس هكذا . فان العدو الجاثم فى ارضنا صائل ومقاومة الصائل واجب مستقل بذاته ، يكلف به المسلمون بقطع النظر عن الجهاد الذى نتحدث عنه . فاذا خرج العدو من ديارنا ، فان ملاحقته بعد ذلك بالدعوة الى الاسلام والقتال فى سبيلها ، هو الجهاد .

ان القاعدة المريضة الكبرى التى يجب أن ينطلق منها المسلمون جميعا، للجهاد فى سبيل الله اليوم ، انما هى جهاد الدعوة الى الاسلام على شتى المستويات وبكل الطرق والاساليب ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولو نهض المسلمون اليوم، أوأكثرهم أو كثرة عظيمة فيهم ، بهذا الجهاد ، لا يبتغون الا وجه ربهم ، لا يسوقون أمامهم عصبية أو غرضا أو ضغينة لفتح الله على أيديهم وبألسنتهم آلاف القلوب الموصدة ، ولرأيت للمسلمين مجتمعا اسلاميا سليما غير هذا الذى تراه اليوم .

ولكن آفة المسلمين أحد بلاءين ، بل كلاهما معا ! ..

آفة المسلمين أنهم أحد رجلين : رجل يتقلب فى نعيم دنياه منصرفا عن الاسلام وشأنه ، لا يبالى بالمصير

الذي ينتهي اليه . وآخر يدعو الى الله والاسلام بزعمه ، ولكن بسلاح من عصبيته وكبريائه ، وبسائق من حقد متمكن وراء صدره ! .. وقليل جدا في المسلمين من ينهض بواجب الدعوه الى الله دون آن يخلط بذلك حظ نفسه ودافع عصبيته .

وما السر فى ان أكثر المنصرفين عن الاسلام لا يلتفتون الى دعوة الداعين اليه ولا يتأثرون بكلامهم ؟ ..

السر أن اكثر هؤلاء الدعاة قد اصبح مظهر الدين جزءا من شخصياتهم واصبحت مظاهر الاسلام من مقومات ذاتيتهم ، فتراهم يدافعون عن هذه المظاهر من حيث يدافعون عن شخصيتهم ومن حيث يذودون عن ذاتيتهم وكرامتهم . ويحس الآخرون بهذا ، فتستيقظ عوامل العصبية في نفوسهم ، ويقوم من ذلك حاجز يحول دون وصول كلمة الحق صافية الى افكارهم .

وانه لمنزلق خطير ما ينبغى أن يقع فيه المسلم اذ يدعو الى الاسلام ، وانما يترفع عن الانزلاق فيه بالتنبه الدائم الى حقيقتين عظيمتين :

الأولى : كراهية معصية العاصي لا كراهية شخصه ، فان كراهية الشخص من حيث ذاته حقد يأباه الاسلام وينهى عنه . وما ينهى الانسان عن فسوق أو عصيان أو كفر الا شفقة على المتلبس به .

الثانية : أن لا يخلط الانسان بين دافع الانتصار لربه والانتصار لذاته ، وما أدق الفرق بينهما لمن لا يكون دائم الرقابة على نفسه .

رب رجل ذى مظهر دينى يقابله بعض الفاسقين بتصرف ساخر من الدين ، فيأخذه الهياج ويتملكه الغضب ، وربما بطش به وضربه .. وهو لو تأمل فيما قد دفعه الى ذلك لرأى أنه حب الانتصار لشخصه ، اذ كان في تلك السخرية جرح لشخصيته الدينية .

وآية ذلك انه لو كان متجردا عن هذا المظهر ، لمر بذلك الفاسق غير مكترث به ولا ملتفت اليه ، ولما حرك العصيان او السخرية لديه أى غيرة أو هياج .

وانما يحبس الفاسق فى فسقه على الأغلب ــ انانية أو عصبية تستفحل بين جوانحه ، فلا يتأثر بتذكير ناصح ولا بتنبيه واعظ . والشيء الوحيد الذي يملك اذابة هذه العصبية والأنانية فيه ، أن يشعر شعورا واضحا بتجرد الانسان الذى ينصحه ويذكره ، وأن يقتنع بأنه لا يستهدف من نصيحته استعلاء عليه ، أو تغلبا ، أو تقوية لعصبته أو عصبيته . وانه انما يكلمه من مستوى الحب له والشفقة عليه .

فان زاد الداعي الى ذلك أن راح يقابل الايذاء بالصفح ، والسخرية بالرضى ، واستدبر حظ نفسه والانتصار لذاته ، فان ذلك من شأنه أن يوقظ كوامن الانسانية عند الطرف الآخر ، ويحيى فى فكره موضوعية البحث والنظر .

وجل القائل فى محكّم كتابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يستقبلون دعوة الاسلام بأهواء نفوسهم بدلا من أفكار عقولهم ــ : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر** » .

وانظر كيف طبق الرسول وصية ربه جل جلاله ، يوم بلغه قول رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول فى غزوة المريسيع عن الرسول والمهاجرين : قد نافرونا وكاثرونا فى دارنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش « يقصد المسلمين » الا كما قالوا

سمن كلبك يأكلك ، اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ! ..

وحسب بعض الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم قاتله .. وقال له عمر رضي الله عنه : الا أضرب عنقه يا رسول الله ؟ .. وجاء عبد الله بن عبدالله بن ابى بن سلول يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : بلغني يا رسول الله انك تريد قتل أبى ، فان كنت لا بد فاعلا فمرنى أنا أحمل اليك رأسه !..

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى أن يمسه بأذى وقال لابنه : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا .

لقد كان من آثار هذا الموقف من النبى عليه الصلاة والسلام ، أن انفض عن ابن سلول كثير من قومه وجماعته ، فكان اذا حدثهم بحديث عن المسلمين بادروه بالمعارضة والتعنيف، ولقد قال عليه الصلاة والسلام لعمر رضى الله عنه بعد ذلك :

كيف ترى يا عمر ؟ .. أما والله لو قتلتهيوم قلت اقتله لأرعدت له آنف ، لو امرتها اليوم بقتله لقتلته ..

. . . . .

يا مسلمون .. لقد آن لنا أن نستيقظ الى حقيقة الدنيا التي من حولنا ، وأن يتعرف كل منا على هويته :

إننا عبيد أذلاء ، مهرت أعناقنا بختم العبودية لله عز وجل .

اننا جميعا موظفون .. ولكن في ديوان الله عز وجل .

فلننهض جميعا بالوظيفة التى كلفنا بها سيدنا .. ولا يهمنكم رزق ولا مال فان سيدكم قد ضمن لكم ذلك كله ، ان انتم قمتم بمسؤولياتكم الوظيفية تجاهه : « **لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** » .

ووظيفتنا نحن معشر العبيد لله ، النهوض بالدعوة الى دينه في بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا ومعاملنا ووظائفنا واسواقنا ، وبين زملائنا وأصدقائنا ، لا نقيم محبة أو صداقة مع انسان الا على أساس الدعوة الى الله ، ولا نكره أو نبغض انسانا الا فى سبيل الله .

لا نحقد .. لأن الحقد دخان لنيران الانتقام الشخصي ، وشخصياتنا ذائبة لا وجود لها في طريق الدعوة الى الله .

لا ننحاز لعصبية .. لأن العصبية مظهر لأنانية الجماعة ، ولا انانية فردية أو جماعية فى بوتقة العبودية المطلقة لله .

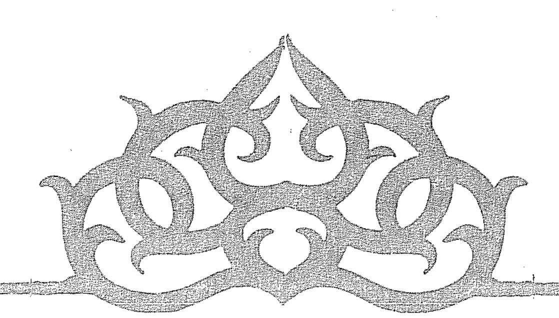
لا نطمع فى دنيا أو مصلحة .. فقد كفانا مالك الملك كله ، كل طمع فيمن دونه ..

قطب سعينا كله فى الدنيا هو البحث عن الحقيقة .. الحقيقة الكبرى التى تندرج فى تضاعيفها حقائق الدنيا أجمع . فاذا اهتدينا اليها فان من حق الأسرة الانسانية كلها علينا أن نعرض لها سبيل هذه الحقيقة . وخيانة كبرى أن يهتدى أحد الأخوين الى الطريق السليم ، فينحط فيه معرضا عن أخيه الذى أسلم نفسه لمتاهة توصله الى الهلاك .

هذه وظيفتنا جميعا .

فان نحن قمنا بها ، كان ذلك خير إحياء لذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك اقصر سبيل لنصر متكامل قريب ، ومجد صادق لا ينال منه عدو ، وقوة تخيف منكم الدنيا كلها .

يأتيكم ذلك كله واكثر .. من حيث لا تحتسبون .



عصمة النبي

اثبت دعائم الأمن والثقة بالوحي

الدكتور وهبه الزحيلى

لست عادة ممن يكتبون فى الموضوعات التقليدية القديمة ، ولا من الذين يرددون مكرور القول المعاد ، او محاكاة الغير والنقل عنهم ، الا فيما يتعلق بالمبادىء والأصول الثابتة ، فهذه حق مشاع للجميع ، وتركة غالية الثمن نحتفظ بها فى صميم القلب والروح ، ومنطلق اساسى لكل محاولة تجديد بمعناه الصحيح ، وليس بمعناه الفوضوى الذى يريد دعاته التخلص من كل قديم بغيا وعدوانا لاحقا وانصافا ، وانما هو المستند الى القديم النافع ، والمبدأ الأصيل الذى لا يتغير شأن القرآن والسنة النبوية وما ضما بين جناحيهما من اصول القيم والفضائل التى حددت مقاصد التشريع وابانت غاياته ومراميه العامة .

وعصمة الانبياء ، وان كان الكلام فيها قديما ، الا انها مبدأ متجسد وماثل فى ذهن وعقيدة كل مؤمن بالرسالات الالهية صباح مساء ، ليل نهار . وقد حركتنى دوافع معينة للكتابة فى هذا الموضوع ، منها : ما نرى ونلمس فى الاوساط الكتابية الصحفية والتأليفية ، وغير الكتابية مما يتردد على السنة الناس هوسا وغوغائية من رصف واسباغ اوصاف مغالى فيها اما لبعض الزعماء والقادة الذين ينتصرون فى معركة حربية أو ثقافية ، أو ينجحون فى وضع خطة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، واما لبعض العلماء الذين يبتكرون اختراعا هاما ، فيجعلهم عامة الناس أشبه بالاله

أو النبي المعصوم : ((ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)) .

وبما أن المؤمن بباعث ايمانه حريص على معرفة حقائق الاسماء والمسميات ، مسئول عن كل كلمة يتفوه بها ، فهو مطالب بمعرفة الفرق الواضح بين ما له صفة القداسة بمعناها الحق ، وبين ما هو عرضة للخطأ والانحراف ، وان أصاب أحيانا ، سواء اكان المصيب حاكما ذا سلطان قاهر ، او عالما ذا باع واسع في ميدان العلوم .

اما صفة القداسة المطلقة فلا تكون الا للاله الواحد خالق الأكوان ، لا للآلهة المزعومة ، ويقترب من صفة القداسة نسبيا النبي أو الرسول المبلغ عن الاله وحيه وأحكامه وشرائعه . فضمانا لصحة التبليغ وامانة الوحي لا بد من توفر ما يعرف بالعصمة لكل نبي في تبليغ الوحي الالهي وما تقتضيه الرسالة ، وفيما يضمن له النجاح في أداء مهمته بتوفير السلامة والأمن والصون من أذى الناس .

فالعصمة اذا هي أوطد صمام أمان في وصول الشرع السماوي سليما لبني البشر ، وآمن وسيلة لتوفير الثقة والصحة والأمن من التبديل والتصديق بمضمون رسالة الانبياء عليهم السلام ، كاملة غير منقوصة .

ثم ان معجزة العصمة هي أول الاصول التي تساعد النبي او الرسول في اظهار معجزاته المادية والمعنوية الخارقة لقانون العادة والقدرة المألوفة ، والدالة على صدق رسالته المؤيدة لادعائه النبوة من قبل الله تعالى .

ويجدر الكلام عن العصمة بمفهوميها السابقين : عصمة التبليغ ، والعصمة من الناس ، وذلك بتحديد معنى العصمة وادلة ضرورتها ، ووقائع عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ايذاء الناس كنموذج للأنبياء . ويتخلل البحث عرضا لا قصدا تفنيد دعاوى المغالين بعصمة الأنبياء أو عصمة الأئمة الحاكمين بعدهم .

ويمكن الافادة بحق مما كتبه علماؤنا الأوائل كشرح المواقف للعضد الايجي والشريف الجرجاني ، وأصول الدين للبغدادي ، والاربعين في أصول الدين ، وعصمة الأنبياء للامام الرازي ، وأعلام النبوة للماوردي ، ومنهاج السنة النبوية ، وشرح العقيدة الاصفهانية أو الواسطية لابن تيمية الحراني .

أما حقيقة عصمة الانبياء بالمعنى العقدي فهي الا يخلق الله فيهم ذنبا . وهي عند الحكماء الفلاسفة : ملكة تمنع عن الفجور ، وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ، ومناقب الطاعات ، وتتأكد بتتابع الوحي اليهم بالأوامر الداعية الى ما ينبغي ، والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي . وعرفها الشيخ المفيد من علماء الشيعة الامامية بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه ، وهو لطف يمتنع من يختص به

عن فعل المعصية ، ولا يمنعه على وجه القهر . اى انه لا يكون له حينئذ داع الى فعل المعصية ، وترك الطاعة ، مع القدرة عليهما .

وقصر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ــ خلافا لبقية الشيعة ــ العصمة على الانبياء من حيث نزول الوحى عليهم ، فراى أن العصـــمة مقتضية أربعة أشياء :

أولها : أن يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور ، داعية الى العفة .

ثانيها : العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة .

ثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحى والبيان من الله .

رابعها : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملا ، بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر . وهذا الوضع الاخير مخالف لراى أغلبية الشيعة ، كما سنبين ، فمتى اجتمعت هذه الاوصاف الاربعة فى رأى ابن أبى الحديد ، كان الشخص معصوما عن المعاصى .

وقد أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب توفر صفة عصـــمة الانبياء عن تعمد الكذب أو الخطأ فيما يبلغونه عن الله تعالى من شرائع وأحكام وأوامر ونواهى وأخبار ، فلا يقع منهم تحريف أو خيانة فى ذلك ، لا عمدا ، ولا سهوا ، حفاظا على حقيقة الشرائع الالهية .

وكذلك هم معصومون عن كل ما تقتضيه الرسالة من عدم الوقوع فى الكفر والبدعة ، وتعمد الخطأ فى الفتوى ، والامتناع فى افعالهم واحوالهم عن اقتراف المعاصى الكبائر ولو سهوا فى رأى الايجى ، أو تعمد الذنوب الصغائر فى راى بعض العلماء كالرازى ، واجاز جمهور العلماء صـــدور الصغائر عنهم ولو عمدا ، الا الصغائر الخسة : وهى ما تلحق فاعلهـــا بالأراذل كسرقة حبة أو لقمة ، فانها لا تجوز منهم أصلا لا عمدا ولا سهوا .

وهذا كله بعد الوحى والاتصاف بالنبوة وزمانها . أما قبل اتصافهم بالنبوة فلا مانع من صدور معصية منهم ، لأنهم بشر عاديون ، كحادثة القتل التى ارتكبها موسى عليه السلام قبل أن يصير نبيا .

وأما ما ورد فى القرآن من أخطاء الأنبياء : فهو اما على سبيل النسيان كمعصية آدم فى الجنة قبل أن يصير له أمة : « فنسى ولم نجد له عزما » ، واما على سبيل ترك الأولى .

وبغض النظر عن أى خلاف جرى بين العلماء فى احتمال وقوع النبى فى معصية كبيرة سهوا أو صغيرة عمدا ، فان الأمة قاطبة متفقة على أن الانبياء هم تحت مرصد دقيق للعناية الالهية ، وفى ظل مراقبة محكمة من الله حتى لا يستقر منهم الخطأ ، فلا يقرون على الخطأ . كما نقل ــ وهو حديث مكذوب ــ أنه القى على لسانه صلى الله عليه وسلم : « تلك الغرانيق العلى

وان شفاعتهن لترتجى » عقب قوله تعالى : « **والللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** » فقد نسخ الله ما القاه الشيطان ، واحكم آياته : « **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد** » .

وغلا الشيعة الامامية لا الزيدية فى شأن العصمة ، فقالوا بثبوتها للأنبياء قبل نبوتهم ، وكذلك للأئمة الحاكمين قبل امامتهم ، بل فى دور طفولتهم ، من الكبائر والصغائر كلها ، لا عمدا ولا سهوا ، ولا خطأ فى التأويل ، بل إنهم مبرءون عنها قبل الوحى وبعد الوحى .

والذى يهمنا بصدد الاقتداء بالنبى واتباعه فى قوله وفعله أن نؤكد قضية هامة : وهى أننا مطالبون باتباع ما يصدر عن النبى قصدا لا سهوا ، وقد وقع السهو والنسيان والخطأ فعلا من نبينا صلى الله عليه وسلم أثناء الصلاة بزيادة ركعة ، أو بصلاة ركعتين بدل الاربع ، من أجل ارشادنا وتعليمنا ، ولأن السهو والخطأ ليسا من الذنوب . روى مالك فى الموطأ : « انما انسى او انسى لأسن » وأخرج الشيخان فى صحيحيهما : « انما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكرونى » وقد ذكره الصحابة ، وسجد عقب الانتهاء من صلاته سجدتى السهو .

واما التحريف والخيانة فى نقل الموحى به ، فهو أبعد ما يكون عن الانبياء ، لأنهم معصومون . وقد تكرر فى مناسبات متعددة فى القرآن تحديد مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوحى ، واتباع ما يوحى به اليه ، بل والتهديد بالعقاب الشديد فيما لو كذب فرضا ، أو غير وحرف جدلا ، فقال تعالى مثلا : « **ان عليك الا البلاغ** » « **انما انت منذر** » « **قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد** » « **ان اتبع الا ما يوحى الى** » « **وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى** » « **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين** » . وقد فصل القرآن المجيد فى مطالب القرشيين المتعذرة بحكم العادة من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال سبحانه عارضا قصة هؤلاء المعاندين : « **وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تاتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل : سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا رسولا** » .

وتقررت بذلك حقيقة كبرى : وهى أن الرسول بشر كسائر البشر

فيما لم يتصل بالوحي ، ولا يقدر احد من البشر على الاتيان بشيء من الوحي من عنده ، قال تعالى مبينا هذه الحقيقة : ((**قل : ما كنت بدعا من الرسل**)) ((**وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى**)) ((**تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ان العاقبة للمتقين**)) .

أما البراهين المثبتة لعصمة الانبياء ، فهي كثيرة ، دل عليها المنطق والعقل ، وأيدها القرآن الكريم ، وقد أوردها الامام الرازى ، ومنها : أن الانبياء قدوة للناس وواجب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم بالاجماع لقوله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم : ((**قل : ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**)) فلو وقع منهم ما يخالف مقتضى الرسالة من المعاصي حرم اتباعهم في ذلك وهو مخالف لعموم الأمر بالاتباع . وادى ذلك ايضا الى رد شهادتهم اذ لا شهادة لفاسق بالاجماع لقوله تعالى : ((**ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا**)) وكذلك يجب تعنيفهم وزجرهم للأمر العام بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي زجرهم ايذاء لهم ، وايذاؤهم حرام اجماعا ، ولقوله تعالى : ((**ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**)) ، وكان عقابهم على الذنب مضاعفا ، لصيرورتهم أسوأ حالا من عصاة الأمة . ولا يستحقون حينئذ الائتمان على عهد الله لقوله سبحانه : ((**لا ينال عهدي الظالمين**)) وكانوا أيضا غير مخلصين ، علما بأن الشيطان لا يغوي المخلصين : ((**لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين**)) ، وصاروا بالذنب من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون ، وما استحقوا الوصف بالمبادرة الى الخيرات من فعل وترك ، مع أن الله قال في ابراهيم واسحق ويعقوب والانبياء : ((**انهم كانوا يسارعون في الخيرات**)) وقال سبحانه : ((**انهم عندنا لمن المصطفين الأخيار**)) ، واصبحوا بترك الطاعة وفعل المعصية داخلين في قوله تعالى : ((**لم تقولون ما لا تفعلون**)) وقوله عز وجل : ((**أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم**)) ، ولما ثبت أنهم أفضل من الملائكة ، ولما استحقوا الوصف بكونهم ائمة يقتدى بهم ، كما قال تعالى في حق ابراهيم : ((**اني جاعلك للناس اماما**)) .

واستدل المعتزلة بناء على منهجهم في الاستدلال العقلي لاثبات رأيهم في عصمة الانبياء من اقتراف الذنوب الكبائر ولو سهوا ، والصغائر ولو عمدا وان تاب عنها : بأن ذلك يوجب النفرة عنهم ، وعدم الانقياد لهم ، مما يؤدي الى اهدار المصلحة المترتبة على البعثة ، وافساد الخلائق ، وترك استصلاحهم . وهو أمر مخالف لمقتضى العقل والحكمة . ولذا يمتنع على الانبياء أيضا كل ما ينفر مطلقا حتى لو لم يكن من افعالهم ، وانما من أفعال غيرهم كعهر الأمهات أى كونها زانيات ، وفجر الآباء ودناءتهم واسترذالهم واقترافهم الصغائر الخسيسة .

واذا كانت هذه هي العصمة ومشتملاتها وأدلة ثبوتها والغاية منهـا فلا يمكن أن تكون لغير نبى ، سواء أكان حاكما اماما أو عالما . اذ بها فقط نضمن سلامة وصول الوحي السـماوى الينا من غير تحريف ولا تأويل ، ولا نقص ولا زيادة ، فهى أمر ضرورى تفرضه طبيعة النبوة ، وتقتضيه الرسالة الالهية .

أما القول بعصمة الأئمة الحاكمين ، أو عصمة الارادة العامة للأمة ممثلة بالاجماع أحيانا ، فهو ذو وصف آخر يرتبط فى الحقيقة بامامة الناس وسياسة الدولة أكثر من ارتباطه بالنبوة ، وذلك من أجل اضفاء نوع من القداسة على السلطة الحاكمة ، أو تقرير سيادة الدولة فى مواجهة الرعية لتأمين اخضاع الفرد لدولته ، اذ ماذا يمكن لحاكم او لأهل الحل والعقد أن يقرروا من أمور دستورية ذات صبغة الهية ؟ فالقول بعصمتهم من الوقوع فى الخطأ مقيد فى نطاق تطبيق الشريعة الالهية ، لا من أجل تشريع مبتدأ . ومن هنا نفى سيدنا على رضى الله عنه أن يكون مخصصا بشىء من النبى فيما عدا الفهم البشرى الذى يؤتيه الله لانسان فى كتاب الله ، فلم يصف سيدنا على نفسه بالعصمة ، بل ولم يتقبل مثل هذا الوصف الذى أطلقه عليه غيره فى عهد متأخر أو فى عهد جعفر الصادق رضى الله عنه . لذا لم يقل الزيدية بمبدأ عصمة الامام . ونحن لا نجد حاجة فى مناقشة حجج الامامية القائلين بذلك ، لأنهم أراحونا فقالوا بعدم وجود الامام المعصوم من زمان بعيد ، وأدلتهم وان قبلت من الناحية النظرية وفى النطاق السياسى ، لكنها تصطدم بالواقع ، فاذا كانت الامة بحاجة الى معصوم يحفظ لهـا الشرع ويقضى بالوقائع المتجددة ، فهذا مجرد تصور عقلى وتمن مجرد ، لا يلائم الواقع بعد انقطاع الوحى . ويفضل أن تثبت العصمة لمجموع الأمة ، لأن نقل الشرع بطريق التواتر خير من نقله من طريق الشخص الواحد ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » أو « على خطأ » .

ويكفى فى الامام الحاكم عدالة ظاهرة بموافقة الشريعة ليتبع أمره وتخضع الرغبة لسلطانه ، كما أن القاضى والأمير والمجتهد يتبعون وهم ليسوا بمعصومين ، هذا فضلا عن أن القول بعصمة الحاكم وتقديسه ، أو القول بسيادة الدولة المطلقة أصبح لا يتفق مع مفاهيم الحيـاة الحديثة والانظمة الديمقراطية ، بل ومبدأ الاسلام الذى يقضى بمسـئولية الحاكم

واخضاعه لرقابة الأمة ، فتطيعه اذا استقام ، وتحاكمه وتعزله ان انحرف وزاغ عن سنن الحق .

وأما العصمة بالمعنى الثانى المكملة لمعنى العصـمة فى التبليغ عن الاله : وهو صيانة النبي عن أذى النـــاس ، فأمر ثابت لكل نبى بعد اداء رسالته ، لتتحقق الغاية المرجوة من ارساله : وهى اصلاح البشرية وتبليغ مضمون الرسالة السماوية لهداية الانسان . وأذكر هنا كأنموذج للأنبياء معجزات عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التى أظهرها الله تعالى له بعد ثبوت نبوته بمعجز القرآن واستغنائه عما سواه من البرهان ، ومن هذه المعجزات تكرر حدوث وقائع متعددة وفرت له الحصانة والصون والنجاة من اذى الأعداء ، تحقيقا لقوله تعـــالى : ((**والله يعصمك من النـــاس**)) ومن ذلك : نجاته صلى الله عليه وسلم من مؤامرة القتـــل التى دبرها له مشركو قريش ليلة هجرته الى المدينة المنورة بصحبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين** » وحينما اكتشف سراقة بن مالك النبى وصاحبه فى الطريق الى الغار ساخت أقدام فرسه فى الارض الى ابطها ، فقال : « يا محمد ادع الله أن يطلقنى ، ولك على أن ارد من جاء بطلبك ، ولا أعين عليك أبدا » ثم أسلم وحسن اسلامه .

وقبل الهجرة أيضا حاول قتله عليه الصلاة والسلام نفر من عظماء قريش وهم معمر بن زيد من سادات بنى كنانة ، وكلدة بن اسد ابو الأشد ، وأبو لهب ، وعتبة بن ربيعة ، ثم ارتدوا على أعقابهم خاسئين ، وقال معمر لقريش حينما هم بقتله فى حجر ابراهيم : « ويحكم المغرور ممن غررتموه .. انى لما دنوت من محمد ، فأردت أن أهوى بسيفى اليه ، أهوى الى من عند رأسه شجاعان أقرعان ينفخان بالنيران ، وتلمع من أبصارهما ، فعدوت ، فما كنت لأعود فى شىء من مساءة محمد » ولما أراد كلدة قتله فى الطريق وهو ذاهب الى المسجد ، رجع السهم فى صدره . ولم يقدر أبو لهب من قتله رغم وقوف امرأته أم جميل على ظهره عليه الصلاة والسلام وهو ساجد . وقال عتبة — الذى حاول القتل بعد أن قرأ عليه الرسول أوائل سورة (فصلت) الى قوله تعالى ((**مثل صاعقة عاد وثمود**)) — مخاطبا قريشا : « ويحكم دعونى ، انه كلمنى بكلام لا أدرى منه شيئا ، ولقد رعدت على الرعدة ، حتى خفت على نفسى ، وقلت : الصاعقة قد أخذتنى » .

وبعد الهجرة أراد رجل اسمه (دعثور) قتل النبى حينما انفرد بنفسه فى غزوة ذى أمر عن أصحابه ، فسقط السيف من يده ، حينما استله ، قائلا

للرسـول : « من يمنعك منى » فأجابه : « الله » ، ثم اخذه النبى عليـه السلام .

وفى موقعة حنين اراد شيبة بن عثمان بن ابي طلحة قتل الرسـول حينما رآه منفردا عن صحبه ، وقال : « اليوم أدرك ثأري ، وأقتل محمدا » ، لأن اباه قتل يوم احد فى جماعة اخوته وأعمامه . ثم خذله الله ، فقـال : « فلما أردت قتله ، اقبل شيء حتى تغشى فؤادى ، فلم اطق ذلك ، فعلمت انه ممنوع » .

وحينما اتفق عامر بن الطفيل واربد بن قيس (اخو لبيد بن ربيعـة الشاعر لأمه) على أن يشغل الاول النبى ، ويضربه الثانى بالسيف ، بدت اعظم مظاهر الخيبة لهما ، اذ امسك الله يد (أربد) الذى سل سيفه قريبا من ذراع ، فلم يستطع ان يسله ولا ان يغمده . ثم دعا النبي عليهما ، فمات عامر بالطاعون ، وارسل الله على اربد وعلى جماله صاعقة أحرقتهم .

قال الماوردى فى أعلام النبوة عقب هذه الحوادث وامثالها : « فان قيل : فهذه أخبار آحاد لا يقطع بمثلها ؟ قيل : العداوة ظاهرة ، والطلب معلوم ، والسلامة موجودة ، فلم تدفع جملة الاخبار ، ولم يصح فى جميعها توهم الكذب ، وان جاز فى آحادها توهم الكذب ، كالمحكى من سخاء حاتم ، وشجاعة عنترة » أي أن ثبات عصمة النبى صلى الله عليه وسلم واضح من طريق التواتر المعنوى : وهو ما اختلفت فيه الفاظ النقل ، واتحد فيه مضمون الخبر .

هذه هى عصمة النبيين التى كانت أولى الوسائل للحفاظ على آخر الكتب السماوية وخاتمة الوحى الالهى منذ بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى يوم القيامة صحيحا غير محرف سليما غير مبدل ، الا وهو القرآن المجيد هداية العالمين ونور السماء والارض : « **وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين** » « **وما هو بقول شيطان رجيم . فاين تذهبون . ان هو ذكر للعالمين** » .



من الرباط الى لاهــور :

بإحراق إسرائيل للمسجد الأقصى في اغسطس ١٩٦٩ ، بدأ المسلمون الذين يشكلون ــ فى حقيقتهم ــ أمة مشتركة العقيدة والتاريخ والأهداف والمصير ، يتأكدون ــ بوضوح ــ من حقيقــة الغارة اليهودية على فلسطين .

إنها تحد جديد موجه الى الإسلام ، بدأ بإحراق المسجد الأقصى ، لكنه لن ينتهي ــ اذا ظل المسلمون على حالهم من التفكك والتخلف ــ إلا بإحراق أسـتار الكعبة ، وهدم مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، واغتصاب أرض الجزيرة ، التى عاش فيها ذات يوم يهـود خيبر ، وبنو النضـير ، وبنو قينقــاع ، وبنو قريظــة !!.

هكذا يخطط اليهود ، وتلك اهدافهـم التى يعلنونها ، فى كل مناسباتهـم الدينيــة : « السيطرة على العالم الإسلامي بدءاً من السيطرة على العالم العربى ومقدساته ، وتكوين امبراطورية يحكمها حاخامات بنى إسرائيل » . . . !!

ولم يمض شهر على إحراق المسجد الأقصى ، حتىعقد زعماء المسلمين مؤتمر القمة الاسلامى الاول فى سبتمبر ١٩٦٩ ، بمدينة الرباط بالمغرب ، لبحث مشكلة المقدسات الإسلامية والمسجد الأقصى بخاصة .



● ادى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح صلاة الجمعة فى مسجد (بادشاهى) بالباكستان . ويبدو سموه فى مقدمة المصلين ، كما يبدو الى جانب سموه جلالة الملك فيصل ، ملك المملكة العربية السعودية ورئيس مجلس قيادة الثورة الليبي الرئيس معمر القذافى ، ويبدو كذلك الشيخ عبد الله الجابر الصباح المستشار الخاص لصاحب السمو الأمير المعظم .

ولأن مؤتمر الرباط كان مجرد رد فعل عاطفى على حادث الأقصى ، ولأنه ــ كذلك ــ عقد فى ظروف نفسية وتاريخية صعبة ــ فانه لم يسبقه إعداد تمهيدى ، ولم يكن لديه برنامج محدد « جدول أعمال » ، وبالتالى فانه لم ينته الى إصدار أية قرارات ، وانما تركزت قيمته الحقيقية ، فى أنه إعلان عن بداية مواجهة المسلمين للتحديات التى تواجههم ، واعلان ــ كذلك ــ عن أن الشعور الاسلامى والتضامن الاسلامى لا يزالان بخير فى الأمة الاسلامية .

وخلال السنوات الأربع التى تلت قمة الرباط تتابعت مؤتمرات إسلامية على مستوى وزراء الخارجية : فى جدة ١٩٧٠ ، وكوالا لامبور ١٩٧١ ، وجدة ــ مرة ثانية ــ ١٩٧٢ ، وبنغازى ١٩٧٣م ، بما أكد أن اتجاه المسلمين الى التضامن قد بدأ يشق له طريقا واضحا ، أكثر وعيا وتنظيما وإيجابية .

المناخ الجديد :

ــ لقد تغيرت فى هذه السنوات التى تلت مؤتمر الرباط كثير من المعادلات الدولية التى اكدت للمسلمين أن طريقهم الى الحياة والتقدم لن يكون بغير وحدتهم الاسلامية ،واعتمادهم على الله وعلى أنفسهم ، كما أن الوجه الحقيقى لأعداء المسلمين ــ على اختلافهم ــ قد تكشف إزاء عديد من القضايا التى هزت الكيان الاسلامى هزا عنيفا .

ـ ومع هذه الرؤية التى بدأت تتضح لأنظار المسلمين ، وقعت حرب العاشر من رمضان التى ظهر العرب فيها بوجه مشرف للإسلام والمسلمين ـ فأعطت هذه الحرب الكريمة للمسلمين والعرب روحا جديدة ، تؤكد حقيقة الوحدة التى تضمهم ، وتؤكد أنهم يملكون طاقات ضخمة تؤهلهم لتحرير أنفسهم ، وتحقيق التقدم والتفوق فى المجالات المختلفة ، شريطة السير فى تحقيق الوحدة ، وتحقيق الاعتماد على الله وعلى الذات .

وفى ظل الرؤية الجديدة ، وهذا الشعور الجديد ، انعقد مؤتمر القمة الاسلامية الثانى بلاهور فى يوم الجمعة (٣٠ محرم ١٣٩٤هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٩٧٤م) .

أكبر تجمع إسلامى :

وجهت سكرتارية المؤتمر الاسلامى الدعوة الى الدول الاسلامية الأعضاء ، فلبى النداء احدى وثلاثون دولة من بينها تسع عشرة دولة عربية ـ باستثناء دولة عربية واحدة ، ومع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة لشعب فلسطين .

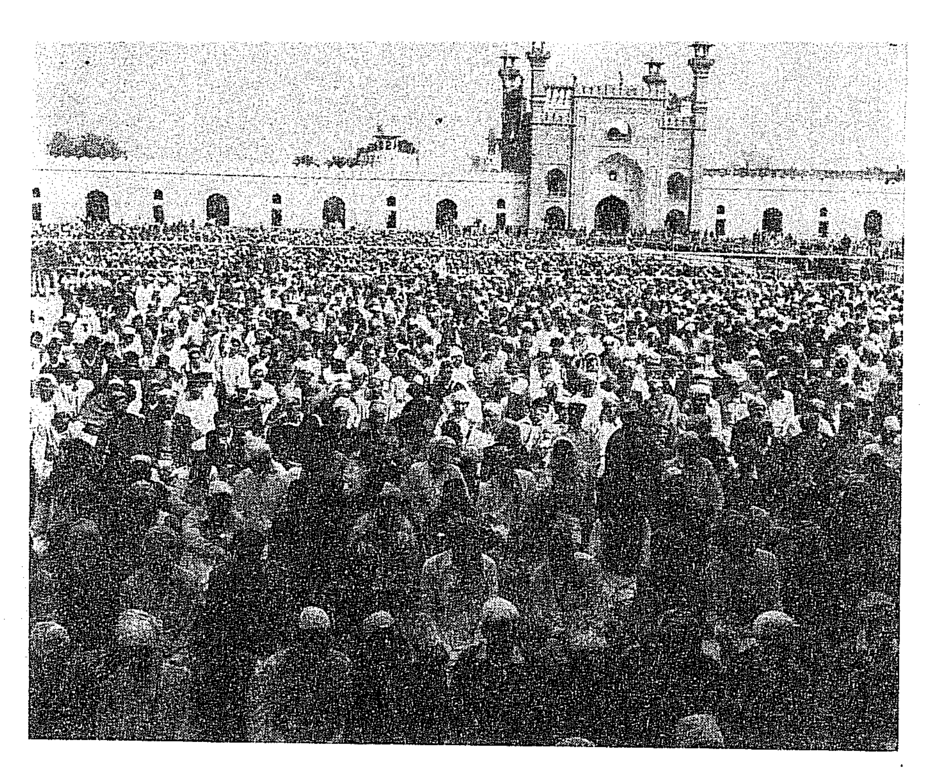
وقد طلب الانضمام لعضوية المؤتمر الاسلامى ست دول إفريقية تم قبول طلبها ، وقبول حضورها المؤتمر وهى : الجابون (التى اعتنق رئيسها عمر بونجر الاسلام مؤخرا) وغامبيا ، والكاميرون ، وأوغندا ، وفولتا العليا ، وغينيا بيساو .

وبقية الدول الاسلامية المشتركة هى : باكستان ، واندونيسيا ، وأفغانستان ، وتركيا ، وايران ، وماليزيا ، وتشاد ، والنيجر ، وغينيا ، والسنغال ، والصومال ، ومالى . وأخيرا ، انضمت بنغلادش ، بعد محاولات الوفاق بينها وبين باكستان ، فبلغ بذلك مجموع الدول المشتركة فى المؤتمر ثمان وثلاثين دولة إسلامية .

مؤتمر لاهور :

فى مسجد « باد شاهى » الذى شيده الامبراطور المغولى المسلم « أورانجزيب » منذ ثلاثة قرون .. فى هذا المسجد الذى يعد من أكبر وأجمل مساجد العالم ، والذى ارتبط اسمه بالشاعر والفيلسوف المسلم « محمد اقبال » .. فى هذا المسجد قام الملوك والرؤساء بأداء صلاة الجمعة ، ووراءهم مائة الف مسلم ، حيث أمهم حامى حمى الحرمين ، **عاهل السعودية ، الملك فيصل** .

ـ وبعد الجمعة ، توجه الزعماء المسلمون الى مقر المؤتمر ليبدءوا عملهم الذى استمر ثلاثة أيام متتالية . وقد ركز « جدول الأعمال » ـ الذى كان وزراء الخارجية قد انتهوا اليه ـ على قضية واحدة محددة ، ذات أبعاد ثلاثة



● جموع المصلين الذين توافدوا على مسجد بادشاهي بالباكستان لتادية صلاة الجمعة ، حيث اجتمع اكبر عدد من رؤساء الدول الاسلامية فى العالم لتادية صلاة الجمعة فيه .

... اما القضية فهى قضية الشرق العربى ، وأما ابعادها الثلاثة فهى : « عروبة القدس وإسلاميتها ـ حقوق شعب فلسطين ـ انسحاب اسرائيل من الأرض العربية المحتلة » .

ولم يمنع هذا التركيز المؤتمر من أن يصل الى قرارين مهمين عاجلين ، احدهما خاص بقضية « الفلبين » ، والآخر خاص بقضية « الارتفاع بالمستوى الاقتصادى للأمة الاسلامية » ، حتى لا تقع فريسة المساعدات الخارجية الخبيثة !!

وكما بدأ المؤتمر واضحا ، فانه انتهى ـ كذلك ـ واضحا .. فكانت قراراته التى اقرها فى جلسته الختامية تؤكد فى مجموعها وسائل تحقيق الأهداف التى وردت فى جدول الأعمال .

ولما كان الأستاذ وزير الأوقاف والشئون الإسلامية ، عضوا فى الوفد الكويتى الذى رافق صاحب السمو امير الكويت المعظم الى المؤتمر ، توجهنا إليه بالأسئلة الآتية :

● سيادة الوزير : **« صرح صاحب السمو امير البلاد المعظم ، بان مؤتمر لاهور كان مؤتمرا عمليا وإيجابيا ، امتاز بالنظرة الواقعية » هل تتكرمون بتفصيل هذا التصريح من خلال معايشتكم للمؤتمر وقراراته ؟**

ـــ أجاب سيادته :

« لقد كان مؤتمر القمة الذي عقد في مدينة لاهور عاصمة « البنجــاب » الإقليمية ، متفهما للقضية العربية ، مدركا أنها قضية تهم كل مسلم . وليست قضية عربية فقط ، وأنها ـــ قضية كل البلاد التي تقف ضد الظلم والعــدوان ، وقضية كل أولئك الذين يؤمنون بأن من حق كل شعب أن يقرر مصيره بإرادته الحــرة .

وبالنظر لما توفر لهذا المؤتمر من تجمع إسلامي كبير ، ضم مختلف المناطق الاسلامية ، شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، فقد عبَّر المؤتمرون باجتماعهــم هذا ـــ عن روح التضامن الاسلامي والأخوة الاسلامية التي حث عليها رســـول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : **« ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجســد بالســهر والحمى »** ..

وأيضا الى بالنظر الى الروح التي سادت هذا المؤتمر وهي روح الأخــوة الاسلامية الصافية الصادقة .

وبالنظر للقرارات التي اتخذها المؤتمر ، وهي القرارات التي أعطت للقضايا العربيـــة الاسلامية دفعا معنويا وواقعيا طيبا ..

ـــ بالنظر لهذا كله ـــ يتأكد بجلاء أن مؤتمر لاهور ، كان ـــ حقيقة ـــ مؤتمرا عمليا وايجابيا وواقعيا .

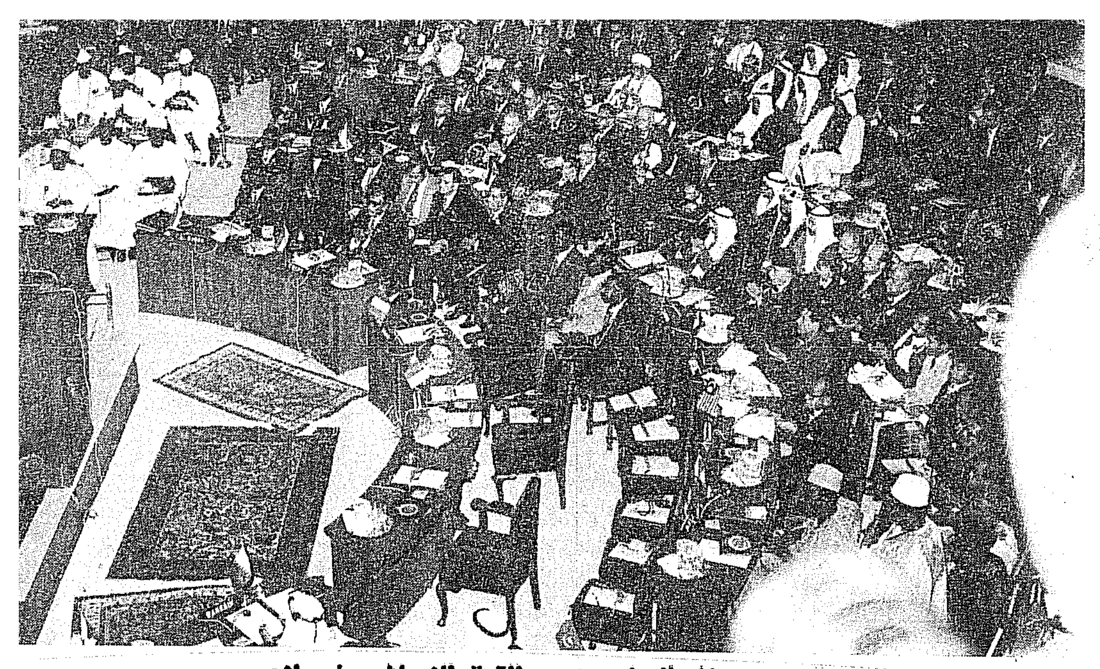
● هل أعطى المؤتمر قضايا إسلامية أخرى ـــ غير القدس وفلسطين ـــ نصيبا من جهده وقراراته ؟

ـــ نعم ، أهتم المؤتمر ببعض القضايا الاسلامية الملحة ، غير قضيتي القدس والشرق الأوسط ... وعلى سبيل المثال ، فان مشكلة الفلبين أخذت حيزا كبيرا من اهتمام المؤتمر ، واتخذت بشأنها قرارات مناسبة وجدية ، وشكلت لجنــة لمتابعة هذه القرارات ، وأيضا .. نجح المؤتمر في تقريب الخلاف بين باكستان وبنغلادش ، وفي حضور الشيخ مجيب الرحمن الى المؤتمر ، واعتراف باكستان ببنغلادش . وغير خافٍ الجهد الكبير الذي قامت به الكويت ـــ بالذات ـــ في هذا السبيل ـــ وانه بحقٍ لجهد ريادي ضخم ..

ومع ذلك ، وفيما يتعلق بهذا السؤال أحب ان اقول : إن القضايا الاسلامية كثيرة ، ومن الصعب تناولها بالقدر المطلوب لها في مؤتمر « القمة » ، والمعروف أن مؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية المتتالية تقوم بمتابعة القضــــايا الاسلامية كلها ، وأما اجتماع « القمة » فهو لعلاج قضايا حاسمة وملحة وعاجلة.

هذا فضلا عن أن مؤتمر القمة الاسلامي كان يسير وفق « جدول أعمال » انتهت اليه الاجتماعات التمهيدية لوزراء الخارجية ، وتم فيها وضع القضــــايا ذات الأولوية أو الخطـــورة أمام الزعماء المسلمين . وهي تلك القضــــايا التي تستدعي جهد « القمة » نفسها ، ومشاركتها مشاركة مباشرة .

● مع تقديرنا لقرارات المؤتمر المحددة حـــول القدس والحق العـــربي والفلبين ... هل صدرت قرارات عامة تؤكد بداية التضامن الاسلامي ، وتخـــدم مجمـــوع المسلمين ؟



● جانب من حفل افتتاح مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهور

ـــ لقد تدارس المؤتمر الموقف الاقتصادى الاسلامى بصفة عامة ، ووضع البلاد الاسلامية الاقتصادى بصفة خاصة .

وبناء على هذه الدراسة ، قرر إنشاء لجنة تتكون من ممثلين وخبراء من الجزائر ، ومصر ، والكويت ، وليبيا ، وباكستان ، والمملكة العربية السعودية ، والسنغال ، ودولة الامارات العربية .

ـــ وابرز أعمال هذه اللجنة إيجاد الوسائل والأساليب التى تهدف الى تخفيف المصاعب الاقتصادية التى تواجهها الدول النامية ، والتى تنظم شروط التبادل التجارى بين الدول المتقدمة والدول النامية ، فيما يتعلق بموارد المواد الخام واستيراد السلع المصنعة والخبرة الفنية .. وكل هذا فى سبيل القضاء على الفقر والمرض والجهل فى البلاد الاسلامية ، وإنهاء استغلال الدول الصناعية الكبرى للدول الاسلامية .

واعتقد أن هذا القرار الاقتصادى سيكون له أثر حميد فى خدمة الأمة الاسلامية كلها ، وحل كثير من مشاكلها التى تكاد تكون مشتركة بين أكثر دولها .

● من بين قرارات مؤتمر وزراء الأوقاف العرب المنعقد بالكويت فى المحرم ١٣٩٣ ، إنشاء ((مكتب تنسيق إسلامى)) ... هل تم انشاء هذا المكتب ؟ والا يمكن عن طريق هذا المكتب ـــ بعد مؤتمر لاهور ـــ التخطيط لعقد مؤتمرات وزراء الأوقاف على مستوى العالم الاسلامى كله ؟

ـــ الحق أن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية العربى الذى عقد فى الكويت ، كان مؤتمرا تأسيسيا فقط ، وبالتأكيد ، وبعد ظهور طابع التضامن الاسلامى .. لا شك أن التنسيق سيكون قائما بين مؤتمرات وزراء الأوقاف والامانة العامة للمؤتمر الاسلامى ، لتتولى هى مهمة مكتب التنسيق الاسلامى . وسيكون من السهل بعد ذلك عقد مؤتمرات لوزراء الأوقاف والشئون الاسلامية على مستوى العالم الاسلامى ، ولا سيما وأن معظم وزراء الأوقاف

والشئون الاسلامية كانوا أعضاء فى وفود بلادهم الى مؤتمر القمة الاسلامى فى لاهـــور .

● **هل تقابلتم وبعض السادة وزراء الأوقاف الذين حضروا الى لاهور ؟**

ـــ التقيت بأكثر من وزير للأوقاف والشئون الاسلامية ، وتباحثت معهم في القضايا التى تهم العالم الاسلامى ، والتى يمكن التعاون فيها لخدمة الاســـلام والمســـلمين .

ومن هؤلاء الإخوة الوزراء الذين التقيت بهم : وزير الشئون الدينية والتعليم الأصلى بالجزائر « مولود قاسم » ، ووزير الشئون الدينية فى موريتانيا « أحمد ابن آل‌عمر » ، ووزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى المغرب « الناصرى المكى » والدكتور « عبد العزيز كامل » نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف فى مصر ، وغيرهم من إخوانى المسئولين عن الشـــئون الاســـلامية فى البلاد العربيـــة والاســـلامية .

● **أيمكن بعد مؤتمرى الرباط ولاهور أن نقول : ان هناك قوة اسلامية ، ذات شخصية مستقلة ، وأهداف مشتركة ، بدأت تظهر على المسرح الدولى ؟**

ـــ الحقيقة أن هذا التجمع الاسلامى الذى تمثل فى مؤتمر القمة بلاهور ، أعطى العالم الاسلامى مميزات وملامح مستقلة ، كقوة مادية ومعنوية دوليـــة ، لها عقيدتها الخاصة ، ولها رسالتها نحو الانسانية . وهى تملك المقومات المشتركة التى تربط بين أعضائها ، وتمكنها من متابعة مسيرتها ، وتحديد موقفها من الصراع الحضارى الدائر فى عالم اليوم .

والأمل كبير فى أن هذا التجمع الاسلامى ، سيكون له ما بعده من مظاهر الوحدة والتضامن بين أعضاء خير أمة أخرجت للناس ، حتى يعود المســـــلمون ـــ باذن الله ـــ الى مكان القيادة من جديد ، فينقذوا المدنية الحديثة من هـــاوية السقوط الأخـــلاقى ، وعبادة المادة ، واستعباد الانسان لأخيه الانسان . وما ذلك على الله ببعيـــد !!

اضواء اخيرة على المؤتمـــر :

إن التقويم الموضوعى لمؤتمر لاهور يوجب نظرة شمولية الى النتائج القريبة والبعيـــدة التى اسفر عنها المؤتمر .

وفى يقينى أن القرارات التى انتهى اليها المؤتمر ، لا تعدو ان تكون جزءا محـــدودا من آثاره البعيـــدة المدى فى قضية التضامن الاسلامى ، والنهضـــة الاســـلامية .

والمتتبع لحركة المؤتمر الدائبة خلال أيامه الثلاثة ، يلاحظ التفاعل والتلاحم بين أعضـــاء الجسم الاسلامى ، الذى اجتهد الأعداء فى تمزيقه وتشتيته ، فهنا

وهناك لقاءات ، ومباحثات « واتصالات جانبية » ، « ومساع حميدة » ومحاولات جادة لإزالة الخلافات الطارئة المصطنعة التي تراكمت بفعل المخطط الاستعماري والتدخلات الأجنبيـــة .

ــ ولقد أثيرت خلال الجلسات قضايا حيوية ، يعتبر مجرد إثارتها ، والتفكير فيها هذا التفكير الجدى ، وطرحها للحوار على النحو الذى طرحت به ــ عملا ايجابيا فى حد ذاته : فقضية المصرف الاسلامى ، والسوق الاسلامية المشتركة ، والالتزام بالدفاع عن أية دولة اسلامية يعتدى عليها ، وإنشاء جامعة اسلامية للتكنولوجيا ، وعدم السماح بنزول الطائرات الاسرائيلية في الأرض الاسلامية ، والانتقال بالتعاون الاسلامى من دائرة الشعارات الى دائرة التنفيذ الفعلى عن طريق التعاون الاقتصادى بين الدول الاسلامية بعضها البعض .

... هذه القضايا الحيـــوية التى طرحت فى لاهور على مائدة الحوار ، وأخذت طريقها الهادىء الى لجان المؤتمر الاسلامى ، كانت منذ سنوات قريبة حلما ، لا يكاد يصل إليه الخيـــال .

ــ وظاهرة أخرى جديرة بالنظر ، فان المجموعة العربية ، قد ظهرت خلال المؤتمر كمجموعـــة متماسكة قوية ملتزمة جـــديرة بأن تعود الى قيـــادة العالم الاسلامى من جـــديد .

ــ ومع اننا كنا نأمل فى حضـــور قادة « أندونيسيا وايران وتركيـــا » شخصيا ، لأن ذلك كان من شأنه ابراز « التضامن الاسلامى » على نحو أقوى ، إلا اننا نعتقد أن ظاهرة التضامن الاسلامى فى طريقها الى أن تصبح ظاهرة عامة ، لا توقفها عوارض جزئية طارئة !!

ــ لقد أعلنت مقدمة البيان الختامى للمؤتمر ، أن ملوك ورؤســـاء الدول والحكومات وممثلي البلاد والمنظمات الاسلامية يعربون عن :

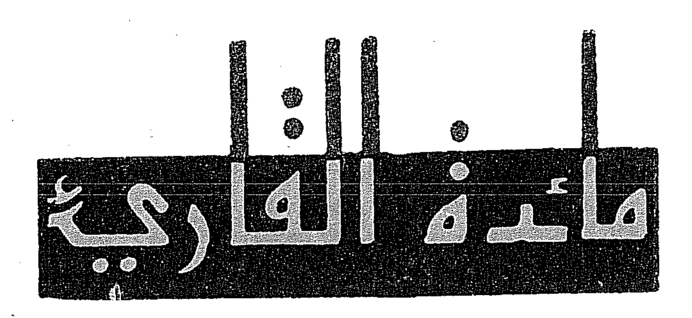
- « إيمانهم بأن دينهم المشترك انما يمثل رابطة لا انفصام لها بين شعوبهم » .

- « ويقينهم بأن للبلاد الاسلامية دورا رئيسيا فى الكفاح من أجل التقـــدم الجماعى وخلق نظام عالمى يقوم على العدل والإنصاف » .

- « وتصميمهم على صون التضامن بين الدول الاسلامية وتنميته » ..

ــ ان هذه الروح الجديدة التى عبَّرت عنها مقدمة البيان الختامى للمؤتمـــر هى أبرز « المنطلقات » التى تهم حركة التاريخ ، لأنها الإعلان عن انطلاق « الارادة الاسلامية » و « التضامن الاسلامى » و « الروح الاسلامية » القادرة على قهر التحديات ، وصنع الحضارة ، وإعادة بناء الانسان المسلم والانسانة المسلمة .

عبد الحليم عويس



« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » .

ـ قرآن كريم ـ

والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أهل النار .

ـ حديث شريف ـ

الايمان طمانينة

مر ابراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن ، فقال له :

أيها الرجل انى سائلك عن ثلاث ، فأجبنى عنها . فقال الرجل : نعم

قال : أيجرى فى هذا الكون شىء لا يريده الله ؟ قال : كلا . قال : أفينقص من رزقك شىء قدره الله لك ؟ قال : كلا . قال : أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك فى الحياة ؟ قال : كلا . قال ابراهيم : فعلام الهم اذن .

نساء الأنصار

قالت ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها : ما رايت أفضل من نساء الأنصار اشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل .. لما نزلت فى سورة النور : ((وليضربن بخمرهن على جيوبهن)) انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم منها ، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما أنزل الله من كتاب فاصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانهن على رءوسهن الغربان .

اجير أو أمير

دخل أبو مسلم الخولانى على معاوية بن أبى سفيان فقال :

السلام عليك أيها الاجير فاستنكر ذلك جلساء الخليفة ، وقالوا له : قل السلام عليك أيها الأمير ، فاعاد السلام عليك أيها الاجير ، قالوا : بل قل أيها الامير ، فأصر على قوله وهنا فطن معاوية الى قصده ، وقال : دعوا أبا مسلم فانه اعلم بما يقول .

فقال أبو مسلم : انما انت أجير استأجرك رب هذه الأمة لرعايتها ، فان أنت داويت مرضاها ، وحبست اولاها على أخراها وفاك سيدها أجرك وان أنت لم تفعل عاقبك سيدك ..

جائزة وعقوبة

مثل رجل بين يدى المنصور ، ورمى بابرة ، فغرزت فى الحائط ، ثم اخذ يرمى واحدة بعد الأخرى ، فكانت كل أبرة تدخل فى ثقب سواها حتى بلغ عدد الابر مائة ، فاعجب المنصور به ، وامر له بمائة دينار وحكم عليه بمائة جلدة ، فارتاع الرجل وسال عن السبب ، فقال له المنصور :

اما الدنانير فلبراعتك ، واما الجلدات فلاضاعتك الوقت فيما لا ينفع .



الشيخ عبد الحميد السائح

ميلاد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم حدث من الأحداث العالمية ، التي غيرت مجرى التاريخ ، وكان لها الأثر الأكبر ، فيما حدث بعد ذلك ، من تغييرات جوهرية في الجزيرة العربية وفيما حولها ، ثم في الأقطار والأمصار ،التي وصل اليها الإسلام بدعوته الخيرة ، واخلاقه العظيمة ، التي كانت تتمثل في تطبيق المسلمين أحكام الاسلام في معاملاتهم وتصرفاتهم ، وكان رسل الاسلام ومبعوثوه وتجار المسلمين مرآة للاسلام سلوكا وصفاء ، وعدلا ووفاء ، فجذبوا غيرهم اليهم ، وانتشر الاسلام في انحاء المعمورة .

ولكن هل وفى المسلمون بحق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تفرقوا أيدى سبأ ، واصبح كل فريق يناوىء الآخر ، ويخطط لقهره أو التغلب عليه ، وشاعت العصبية بثوب الحزبية ، والمبادىء المستوردة ، واصبح كل جماعة يتنادون لما يلتفون حوله من آراء ، ولو عارضت الاسلام في مخططاته ومعتقداته ، وقد نحى الاسلام عن الحكم والتشريع ، وابعد القرآن عن العمل والتطبيق ، وهجر الاسلام في دواوين الدولة ، ومجتمعات الأمة ، على اختلاف أنواعها واشكالها ، واكتفينا من ذلك كله بالمظاهر ، واغرقنا في البعد عن الجواهر ، مع أن هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » (١) ، والله تعالى يقول : **(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)** (٢) .

وقد ارسل الله هذا الرسول العظيم رحمة للعالمين ، ينقذهم من جهالاتهم وضلالاتهم ويصرفهم عن عصبيتهم واهوائهم ، ويجعلهم مثال العدالة والاستقامة ، قال تعالى : « **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » (٣) .

وقال سبحانه : (**وما ارسلناك الا رحمة للعالمين**) (٤) .

يا مسلمون : هذا الرسول الأعظم نعمة الله عليكم فلا تكفروها ، وهبة الله اليكم فلا تجحدوها ، ومصدر كل خير فاجعلوه قدوتكم وإمامكم ، وليكن الحكام السباقين ، حتى يتبعهم المحكومون ، ولتعم خيرات هذا الرسول صلى الله عليه وسلم البيت والمدرسة والشارع وكل المجتمعات ، تغترف من هديه وتستنير بتعاليمه حتى نصبح حقيقة مسلمين مؤمنين ، بشريعة الله عاملين ، ولهدي الرسول مطبقين ، (**قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون**) (٥) .

وحينئذ يتسابق المؤمنون فى ميادين البر والخير والعمل الصالح ، وجهاد الأعداء والحفاظ على كرامة المؤمنين ومقدسات المسلمين ، فى سبيل ارضاء الله والرسول وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (عند الله خزائن الخير والشر ، مفاتيحها الرجال ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير) (٦) .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) : رواه الترمذى ، وفى رواية غير الترمذى . احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك ، وما اصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا) (٧) .

فهذه الهداية النبوية وأمثالها هى التى دفعت أصحاب رسول الله الي ميادين القتال والشهادة دفاعا عن الاسلام وذيادا عن حياضه وطمعا فى رحمة الله ورضوانه ، وهذه المبادىء هى التى كان المسلمون يتسابقون ويتنافسون فى تطبيقها ، ورسول الله قدوتهم وسيد البشر امامهم ، يعتبرون أموالهم حقا لله وانفسهم وقفا على رضا الله ، يبذلون كل ذلك حرصا على طاعة الرسول

ورضـــاه (**من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهـــم حفيظــا**) (٨) .

وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتابعون من بعـــدهم يدفنون كل عصبية أو تجمع لا يرضي رسول الله ، وكل مبـــدأ يسبب سخطا لرسول الله ، لا يحبون الا فى الله ، ومن أجله ، ولا يبغضون الا فى الله ومن أجل الله ، سائرين على درب الرسول فى اعتبار القرآن امامهم وقبلتهم ، يتعبدون بتلاوة آياته وتدبرها ، وتنفيذ أحكامه ، وتطبيق تعاليمه ، فكونوا تلك الجماعة الاسلامية المجندة لخير البشرية والمتماسكة فى سبيل دفع الأذى والشر ونصر المظلوم وردع الظالم والتضحية من أجل كل ذلك بالنفس والنفيس متمثلين بقوله سبحانه : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . وانفقوا فى ســبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين**) (٩) .

وقوله سبحانه : (**ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) (١٠) .

الموقف فى ساعة العسرة

ولما وقع المسلمون فى ضائقة وشدة يوم تبوك ودعا الرسول أصحابه الى البذل والسخاء انقاذا للاسلام والمسلمين من شر الطغاة والمعتدين تسابق أصحاب رسول الله وتنافسوا فبذل أبو بكر كل ماله ، وبذل عمر نصف ماله وبذل عثمان الكثير الكثير فى تجهيز الجيش واعـــداده كما بذل الآخرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقفـــه من المتخلفين

وقد تخلف عن اجابة النداء عدد من اصحاب الرسول منهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع ، وليس لهم عذر فى هذا التخلف فقرر الرسول مقاطعتهم ومنع الناس من كلامهم وقد جاءت زوجة أحدهم تستأذن الرسول فى خدمته وهو شيخ طاعن ليس له من يعينه فأذن لها فى خدمته عـــلى أن لا يقربها ، واستمروا على ذلك خمسين ليلة ، وهم فى اشد حالات الضنك والضيق الى أن نزلت توبتهم من السماء ، فرأى كعب أن من تمام توبته أن يخرج عن ماله صدقة الى الله ورسوله .

وانزل الله تعالى على رسوله : **(لقد تاب الله على النبى والمهاجـرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** (١) .

فكان هذا الموقف درسا لكل من يتخلف عن مسايرة الجماعة والمساهمة فى عمل الخير والجهاد بالنفس والمال خصوصا فى أوقات الشدة والضائقة التى تصادف المسلمين (١٢) .

العبرة فى هذه الذكرى

على المسلمين حيثما وجدوا أن يراجعوا أنفسهم ويفكروا فى ما أصابهم فى فلسطين وغير فلسطين وما يمكن أن يتهددهم من أخطار ويتعرضوا له من بالغ الأضرار اذا هم تخلفوا عن الاستمرار فى البذل والسخاء والتخلى عن الأهواء والأطماع ويذكروا أن للمسلمين قوة لا تبارى ولديهم من الامكانات المتعددة ما يحمل أية جهة على التفكير عدة مرات قبل التخطيط لمعاداتهم واهمال شأنهم لو انهم على درب الرسول سائرون ولدعوة محمد منفذون ولشريعتـه مطبقـون .

فواجب عليهم أن يعملوا جديا على استلهام شريعة الرسول وتطبيق أحكامها فى قوانينهم والتقيد بحدودها فى كل تصرفاتهم ويحرصوا على ديار الاسلام غير مفرطين فى أى جزء منها خصوصا اذا ارتبطت بعقيدتهم الدينية وحضارتهم الاسلامية ويحزموا أمرهم على أن لا يفرطوا فى القدس الشريف أو غير القدس من الديار المنهوبة المعتدى عليها ، واذا اعتصموا بحبل الله وأذعنوا لأمر الله ، وكان هدفهم رضا الله ورضا رسول الله فانهم واصلون لما يعيد اليهم عزتهم وكرامتهـم وديارهم **« ان تنصروا الله ينصـركم ويثبت أقدامكم »** (١٣) .

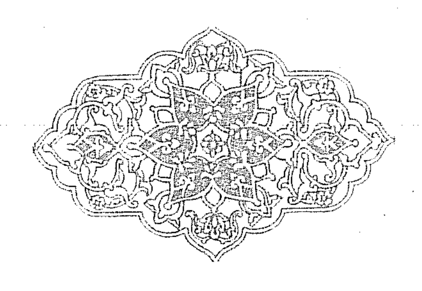
أيها المسلمون :

فى ذكرى مولد الرسول — اذكروا جهاد الرسول وأصحاب الرسول
فى ذكرى مولد الرسول — اذكروا تضحيات الرسول وأصحاب الرسول
فى ذكرى مولد الرسول — اذكروا صـفحات سيرة الرسـول وأصحاب الرسـول
فى ذكرى مولد الرسول — اذكروا غزوات الرسـول ومواقف أصحاب الرسـول

فى ذكرى مولد الرسول اذكروا ما من" الله على الرسول وأصحاب الرسول من النصر المبين والاعزاز والتكريم

اذكروا كل هذا للائتساء والاقتداء بالرسول وأصحاب الرسول لتعود لكم قوتكم ويهابكم أعداؤكم وتقفوا فى الذروة بين الأمم ، وحينئذ يرضى عنكم الرسول فى ذكرى مولده وتحققون ما هدف اليه الرسول فى قوله صلى الله عليه وسلم :

(المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) (١٤) .



---

(١) الامام مسلم .
(٢) الآية ٢٧ من سورة الحج .
(٣) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .
(٤) الآية ١٠٧ من سورة الانبياء .
(٥) الآيتان ١٤ و ١٥ من سورة الحجرات .
(٦) الطبرانى ، الحديث ١١٥٠ من كتاب قبس من نور محمد صلى الله عليه وسلم للدكتور محمد فايز المط .
(٧) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ص ١٦٠ ، ١٦١ .
(٨) الآية ٨٠ من سورة النساء .
(٩) الآيتان ١٩٤ و ١٩٥ من سورة البقرة .
(١٠) الآية ١١١ من سورة التوبة .
(١١) الآيات ١١٧ — ١١٩ من سورة التوبة .
(١٢) مختصر زاد المعاد ص ٣٥٨ .
(١٣) الآية ٧ من سورة محمد .
(١٤) الامام مسلم .



للاستاذ : محمد المجذوب

— ١ —

((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) .

وردت هذه الآية الكريمة أثناء القسم الأول من سورة الأحزاب ، التى نزلت فى أعقاب غزوة الخندق ، وكانت ضربا عاليا من الامتحان ، كشف مخبآت النفوس ، وميز كل صنف من سكان المدينة بلونه وخصائصه .. فكان هناك المؤمنون الذين ابتلوا وزلزلوا فلم تزدهم الشدة الا صفاء وتألقا ، وكان هناك المنافقون ، الذين فضحتهم المحنة فلم يملكوا كتمان ما انطوت عليه أنفسهم ، فاذا هم يصارحون بالعداء والشمات والتكذيب ، وكان هناك أيضا اليهود ، الذين استهوتهم الفتنة فنكثوا أيمانهم ، وانسلخوا من الذى وقعوه مع رسول الله ، وتهيئوا للاجهاز على المؤمنين من وراء وراء ..

ونظرة واعية الى سياق الآية ما تقدمها وأعقبها من وصف لظــروف الغزوة ، كيف بدأت وكيف انتهت ، توضح بصورة قاطعة أن تدبيرا ربانيا حكيما قد تولى تنسيق الوقائع ، ويسر لكل جزء مناسبه الممهد لخاتمته .. لتتمايز الوجوه فيحيا من حى عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة .. ولتتجلى للمؤمنين ، فيما بعد وحتى تقوم الساعة ، طريق العزة والنصر لاحبة بارزة ، لا يزيغ عنها الا عم لا يفرق بين سبيل المؤمنين ومجاهل الكافرين ..

ومع أن السورة قد عنونت باسم (الاحزاب) لم يستغرق حديث الغزوة منها سوى أقل من ربعها . أما ما قبل ذلك وما بعده فينصب علـى ترسيخ المبادىء الاساسية التي يجب أن ينهض عليها المجتمع المسلم . يبدأ ذلـك بشخص الرسول نفسه صلوات الله وسلامه عليه ، وبأهل بيته المطهر ، وبيان الصلة الوثقى التي يجب أن تربط الأمة به وبهم .. ثم الوشائج الروحية التي تؤلف بين قلوب أهل الايمان .. ومن ثم تسلط الاضواء على العناصر الخارجة عن نطاق هذا المجتمع النبوى ، لتكشف مؤامراتها عليه .. فاذا ما استوفت آيات الغزوة عرض الأحداث القتالية ، عادت الى اتمام ما بدأت من رفع ركائز التنظيم ، وفي طليعته تحصين البيت النبوى بكل ما يجعله صالحا لاعطـــاء القدوة العليا . ثم تمضي الآيات في توسيع هذه الدائرة حتى تشمل جوانب المجتمع الاسلامي بأسره..مجهزة اثناء ذلك على رواسب من تقاليد الجاهلية ، التي لا تتفق مع أهداف الاسلام ، ومعمقة لجذور الاعتصام بقيادة الرسول وطاعته ، انسجاما مع الادارة الربانية ، التي تعلن رضاها عنه بصلاة الله وملائكته والصالحين من عباده عليه ، صلى الله عليه وسلم ، وموجهة عناية كبيرة الى توكيد سلامة البيت المسلم وحياطته بكل الآداب التي تجعل منه مثلا أعلى للمجتمع السعيد النظيف .. حتى ينتهى المطاف بمصاير كل من المهتدين والضالين ، مع التوكيد على ما بدأت به السورة من أمر بالتقوى ، والتزام سبيل المؤمنين ، والحفاظ على أمانة الله بالطاعات المؤدية الى مغفرتــــه ورضوانه .

وبقليل من التفكير السديد يتبين العقل أن حياة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، في نفسه وفي بيته وسلوكه في معالجة القضايا الانسانية، هي النواة التي حولها تتحرك محاور السورة كلها ..

إنه المجتمع المسلم المتميز بخصائصه الربانية ، من الايمان باللـــــه ، والتطلع الى ما وراء الحياة الفانية ، والاستحضار الدائم لجلال الله .. ذلك المجتمع الذى عرف سبيله واضحا على خطى الانموذج البشرى الاسمى ، الذى اصطفاه الله قائدا لعباده ، وقرن مرضاته بالتزامه فقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أنشأه على عينه فلم يزل يترقى في آفاق الكمـــال حتى استحق ان يقول له : (وانك لعلى خلق عظيم) وأن يوجه المجتمع الايمانى الى الاقتداء به في كل تصرفاته ، قائلا على سبيل القطع والاستمرار (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ...)

ومن اوائل البدهيات الا سبيل الى تحقيق الأسوة الا باقتفاء آثار المعنى بها ، ومعنى ذلك بالنسبة الى المسلمين أن يكونوا على علم بسيرة المثل الكامل، الذى أخذ عليهم العهد باتباعه منذ أن أعطوا ربهم ميثاق السمع والطاعـــة بشهادة التوحيد ، ومن هنا كان العلم بسيرته صلوات الله وسلامه عليه واجبا،

بل فرض عين على كل مسلم حسب طاقته من المعرفة ، اذ لا مندوحة للمسلم عن تعرف المثل التطبيقي لحقائق الاسلام ، متجلية في صورة بشرية تعيش واقع الحياة ، وتعامل احداثها على ضوء من هذه الحقائق .

ولا حاجة الى التذكير بان اغفال سواد المسلمين لهذا الجانب الهام من أصول الاسلام ، هو الذى قذف بالامة فى ظلمات الضياع والتخلف ، لانه قطع ما بينها وبين نبيها من وشائج المعرفة وعلائق الاسوة .. وهو انفصام واسع المدى يستوى فى تبعاته عامة المسلمين ، والجيل الذى امتصته الثقافة الغربية وعلى رأسه فئة المزودين بمركب الجهالة العمياء لدينهم .. وانما جـاء استواء الفريقين فى مسئولية هذا الانفصام ، من حيث التقاؤهما على مجافاة الحقيقة الممثلة فى شخصيته صلوات الله وسلامه عليه . فاذا كان المستغربون من أبناء المسلمين قد أفسد المكر اليهودى فطرتهم ، حتى لم يعودوا يعلمون عن هذا النبى العظيم الا ما لقنوه من أعدائه ، فان فطرة العامة قد شوهتها أيضا شعوذات المنحرفين ، فهم لا يحملون عن شخصية الرسول الا بعض الصور القائمة ، التى لا تكاد تتصل بحقائق الحياة .. ولا يكادون يتصلون هم بهـا الا فى حفلات الموالد ، التى استحالت فى الغالب ألوانا من اللهو واللغو لا تهب المجتمعين عليها أى مردود صالح ..

واذا كان للأسوة الحسنة كل هذا الأثر البناء ، فلا بد من العلم الحاسم بان كل محاولة لاستردادها ، ورد المسلمين اليها ، سيكون نصيبها الاخفاق الذريع ، اذا لم تقم على أساس الفهم السليم لحيـاة الرسول الكريم ، من خلال الكتاب الحكيم ، والسيرة الصحيحة ..

وهذا ما حدانى اليوم للوقوف عند بعض المشاهد من خلال السـيرة المطهرة .. يقينا منى بانها خير ما نستقبل به ذكرى اشراقته صلوات الله عليه وسلامه على هذا العالم التائه ..

لما أحس مشركو قريش فشو الاسلام ، ونجاة المهاجرين الى الحبشة من أذاهم ، وما نال رسول الله من القوة باسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما ، عمدوا الى سلاح جديد من صنع الشيطان ، هو المقاطعة الشاملة لكل من يقف الى جانبه من بنى هاشم وبنى المطلب .. وكتبوا بذلك الصحيفة المعروفة. ومضت القطيعة الى غايتها قرابة الثلاث السنوات لقى المسلمون خلالها أفانين البلاء .. ولكن هذا لم يفل من دأب رسول الله فى عرض دعوة الله على الناس ، ولا سيما الوافدين الى مكة من أرجاء الجزيرة ، على كثرة ما واجه من أذى الطواغيت ، الذين استخدموا كبير نفوذهم للحيلولة بينه وبينهم ، وظل على شانه من الطواف والتعبد فى المسجد الحرام متحديا بذلك جبابرة قريش ، ثقة بموعود الله الذى أمره بالتبليغ ، وبشره بالعصمة من الناس .

- ٢ -

ونزل الموت بابي طالب ، ثم تلته الزوجة الوفية الخالدة خديجة رضى الله عنها خلال أيام .. وبذلك حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجناحين اللذين طالما أظلاه بالعون والحب ، وتجرأ عليه من لم يكن ليطمع بذلك من قبل ، حتى ليعترضه أحد السفهاء فينثر على رأسه التراب ، ولما جاءت احدى بناته تغسل رأسه جعلت تبكي فيهدىء من روعها بقوله : ((لا تبكي يا بنية ، فان الله مانع أباك)) ..

ويغادر مكة بحثا عن انصار للدعوة فى الطائف .. بيد انه يعود باشد من الأذى الذى لقيه من قريش ، حتى أن كبراءها ليغرون به السفهاء والعبيد يسبونه ويصيحون به ، الى أن ألجئوه الى حائط لاثنين من ألد أعدائه .. فلم يزد على أن يرفع الى ربه هذه النفحات المائجة بعبير الرضى عن قضـائه : ((اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى)) ..

- ٣ -

وفى أحد تضيق الدنيا بالمسلمين وهم يستمعون الى النبأ الصادع بمقتل رسول الله ، فيطيش وعى الكثرة منهم ، حتى ليغفلون عن أزمة النصر التى قبضوا عليها ، ويهيمون على وجوههم تتقاذفهم الارض هنا وهناك ... ولـكن رسول الله يثبت فى وجه الدفق المنصب عليه من العدو كانه الجبل الاشم بازاء العواصف .. تزهر عيناه من خلال المغفر ، وينظر الى البقية القليلـة من صحابته يشجعهم وهو يبتسم ، فكأن الشاعر لم يعن سواه عندما قال وهو يغالى فى وصف بطله :

وقفت ، وما فى الموت شك لواقف
كانك فى جفن الردى وهـو نائـم
تمـر بك الأبطـال كلمى هزيمـة
ووجهك وضاح وثغـرك باسـم

- ٤ -

وفى مرجع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه من غزوة ذات الرقاع نزل بصحابته فى أحد الاودية ، واتخذ مقيله فى ظل سمرة بعد أن علق بها سيفه .. وبينا هو غارق فى نومه أقبل أعرابى من الفتاك فاخذه فاستلـه . واستيقظ رسول الله ليرى الاعرابى وقد استعد للجريمـة ، وتملكه الزهو

فجعل يهز السيف بوجهه وهو يقول : من يمنعك منى ؟!.. وفى وقار النبوة الذى لا يعرف الخوف من بشر أجاب : يمنعنى الله .. وسرعـــان ما سرت الرعدة فى أوصال الرجل حتى سقط السيف من يده ، فيأخذه الرسول ويقبل الصحابة ليروا الفاتك وقد أخذه الروع ، وجلس بين يديه صلى الله عليـــه وسلم يترقب قضاءه العدل .. ولكنه صلوات الله عليه وسلامه يأبى أن يكون الا حيث وضعه ربه فوق الانتقام الشخصى ، فرد للمرتاع أمنه ، ومنحه الحياة والحرية وكان لهذا الفضل مردوده فى نفوس القوم الذين أدركوا أن الذى يجهدون للايقاع به هو فى حماية الله ، وفوق المألوف من خيار عباده .

— ٥ —

وفى وادى حنين فوجئت كتائب الله بكمائن هوازن تنحدر عليها من جانبيه فتاخذ الفجاءة عيون المؤمنين ، فاذا هم ينتشرون باحثين عن منافذ النجاة . ولا يتمالك بعض الطلقاء ، الذين لم تخالط بشاشة الايمان قلوبهم بعد ، فيعلن فرحته بما توقعه هزيمة ساحقة للاسلام ، ويصرح آخر : ألا بطل الســـــحر اليوم ..

وثبت مع رسول الله نفر من المهاجرين والانصار ومن أهل بيته ، ممن كان على مقربة منه اثناء الجولة ، فلم تنل منهم الصدمة المفاجئة .. وجعل رسول الله يتقدم فى نحر العدو وهو يرتجز :

أنـــا النبى لا كـــــذب   أنا ابـــن عبـــد المطـــلب

ويهيب بالمسلمين الشاردين : أين أيها الناس ؟ .. هلموا الى .. أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ..

ويوعز الى العباس عمه أن أصرخ : يا معشر الانصار .. يا معشر اصحاب السمرة ... فتتردد اجاباتهم : لبيك .. لبيك .. وينتهى اليه بعد لأى مئة منهم ، لا تلبث أن تقتحم غمرات الموت بين يديه صلوات الله وسلامه عليه .. وما هى الا صولة حتى سقطت راية المشركين ، وتلاحق المؤمنون عائدين الى نبيهم ليجدوا أسارى هوازن مكتفين عنده وقد كفى الله المؤمنين القتال ..

وفى حميم المعركة يبصر صلى الله عليه وسلم بالصحابية الجليلة بنت ملحان قائمة على جمل زوجها أبى طلحة رضى الله عنه وقد أخذ منها الغضب لانفضاض الناس من حوله فتقول له : بابى أنت وأمى يا رسول الله .. أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك .. ولكنه لا يجاريها فى غضبها على أصحابه بل يقول لها : ان الله قد كفى وأحسن يا أم سليم ..

- ٦ -

وكان رسول الله عائدا بالمؤمنين من تبوك ، حتى اذا وافى منى انفرد عن الجيش بناقته ، يقودها حذيفة ويسوقها عمار رضى الله عنهما ، فما ان وافى العقبة حتى فوجىء باثنى عشر ملثما يعترضون مسيرته ، ويريدون أن يزحموه للقضاء عليه ، فلما انتبه اليهم صرخ بهم ، فأوقع الله فى قلوبهم الرعب وولوا هاربين .

ويقترح رفيقاه الجليلان أن يبعث رسول الله الى عشائر هؤلاء المنافقين بأمرهم ليقتلوهم ويأتوه برؤوسهم ... ولكنه يرفض ذلك الرأى قائلا : لا .. أكره أن تتحدث العرب أن محمدا قاتل بالقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم ! ..

ولم يكتف صلوات الله وسلامه عليه بالسكوت عن المتآمرين ، بل أعلن لصاحبيه أسماءهم وأخذ عليهم العهد بكتمانها .. حتى كان الصحابة يطلقون على حذيفة بعد أخيه عمار رضى الله عنهما ((صاحب السر الذى لا يعلمه غيره ..))

ولاجرم أن مثل أولئك الغادرين جديرون بحكم الموت ، ولكن حكمة رسول الله أبعد رؤية من تفكير صاحبيه ، لان الإعراض عنهم أعود بالخير على الدعوة من أخذهم بالعقوبة . هذا الى أن القاصين من الناس الذين لم يحيطوا أنه ضرب من الاحتياط لحماية السلطة ممن تخشى معارضته إياها ، على طريقة الطغاة الذين ما أن يبلغوا غايتهم من التسلط حتى يفرغوا لتصفية شركائهم فيه ..!

- ٧ -

وفتح الله على رسوله مكة ، فدخلها منتصرا عزيزا ، مطلق التصرف فى أهلها وأرضها ، ولكن ذلك لم يزده الا تواضعا لربه وخشوعا لجلاله ، حتى إن لحيته لتكاد تمس واسطة رجله تذللا لله ... فكان فعله هذا درسا خالدا للفاتحين من أمته ، تعلموا منه كيف يتلقون نصر الله بمزيد من التواضع والانكسار لعظمته سبحانه .. بخلاف الجبارين من أهل الجاهلية الاولى والآخرة ، الذين يستقبلون كل نجاح يحرزونه بمزيد من الطغيان .

وفى المسجد الحرام يحتشد أعداء رسول الله ، الذين أخرجوه من أحب أرض الله اليه ، وقد استحوذ عليهم الهول ، وحضرهم كل ما اقترفوه فى حقه وحق أصحابه من سوابق العدوان ، ولبثوا ينتظرون عاقبة ما جنت أيديهم وألسنتهم .

ويشرف رسول الله من على باب الكعبة ، التى طالما دنسوها بارجاس الشرك والبغى ، فيحمد الله ويمجده ثم يقول : ((يا معشر قريش .. لا تثريب عليكم اليوم .. يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء)) ..

— ٨ —

ويستأثر الله بابراهيم ابن رسوله ، وقد رزقه على شوق الى الولد ، وتقارب من أواخر العمر .. ويشاء ربه جلت حكمته أن يوافق ذلك موعد كسوف الشمس .. فتسير الظنون فى الناس أن الله قد كسفها تكرمة لنبيه ، فما يكاد يعلم خبر ذلك حتى يدعو الناس الى صلاة جامعة ، يعلمهم بها (أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته) وأن عليهم اذا واجهوا مثل هذه التغيرات الكونية أن يجددوا صلتهم به سبحانه ، فيستقبلوها بالصلاة والذكر .. فتكون تلك الظاهرة الفلكية مناسبة صالحة لتعميق شعور المسلمين بفضل ربهم وعظيم رعايته وحكمته ..

— ٩ —

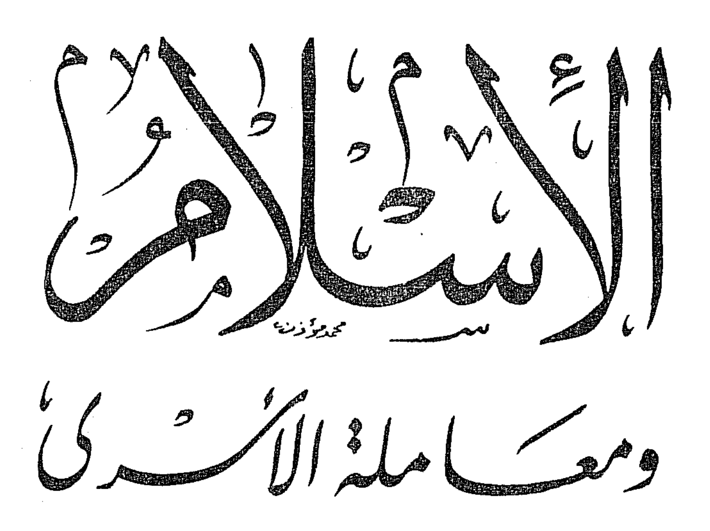
وذات يوم تضل ناقته صلى الله عليه وسلم أثناء عودته من تبوك ، وينطلق بعض صحابته للبحث عنها . فينتهزها المنافق اليهودى ابن اللصيت فرصة للغمز من رسول الله ، حتى ليقول : أليس محمد يزعم أنه نبى ويخبركم خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته !! ..

وتبلغ مقالة الخبيث رسول الله فلا تثيره ولا تاخذه الحمية ، بل لا يزيد على أن يقول : ((انى والله ما أعلم الا ما علمنى الله .. وقد دلنى عليها ، وهى فى هذا الوادى فى شعب كذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ..))

— ● —

وبعد .. فتلك مشاهد خاطفة من سيرة الهادى الامين صلوات الله وسلامه عليه ، تعرض بعض جوانب العظمة من حياة هذا القائد الذى أدبه ربه فاحسن تاديبه ، وزوده من الكمالات بالذخر الذى لم يجتمع لسواه من خلقه ، ثم قدمه الى الانسانية مبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وهيهات للانسان أن يعرف طريقه للاستقرار ما لم يتخذ منه الأسوة الحسنة فى كل ما ياتى وما يذر ، ويجتنب مخالفته فى كل ما نهى عنه أو زجر .

فاللهم ردنا الى حماه ، ووفقنا الى اقتفاء خطاه . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب .



للدكتور احمد الشرباصي

نشرت الصحف اخبار جريمة خسيسة لجأ اليها الصهاينة اللئام ، للاعتداء على كرامة البشرية ، وللاستخفاف بالحقوق الانسانية ، وهى أن بعض اطبائهم سمحت لهم دناءتهم أن يقوموا بعمليات جراحية ، ينقلون فيها أجزاء من أجسام بعض الجرحى الأسرى لديهم ، الى أفراد منهم يحتاجون الى هذه الاعضاء .

وقد ذكرتنا هذه الجريمة بما جاء فى بعض كتبهم المقدسة — فى نظرهم — من أن القائد اذا انتصر على مدينة واحتلها ، فعليه أن يقتل جميع ذكورها بالسيف ، وأن يأخذ من فيها من النساء والاطفال والبهائم غنيمة له ، فقد جاء فى الاصحاح العشرين من كتاب التثنية هذه العبارة :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها ، استدعها الى الصلح ، فان اجابتك الى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، وتستعبد لك ، وان لم تسالمك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما فى المدينة وكل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك » .

وهذه الدناءة ينبغى أن تذكرنا بفضل الاسلام العظيم على العالمين ، لانه صان كرامة الانسان من العدوان ، حتى قال رسول الله صلوات الله

وسلامه عليه : « الانسان بنيان الله ، ملعون من هدم بنيانه » ، ولانه ضمن للأسرى حقوقا يجب أن تكون قدوة للمتحاربين أجمعين ، وهذه الحقوق يجب علينا أن نعيها ، وأن نعلنها ، ليستبين لكل عاقل أن فضل الاسلام على الانسانية عنوان فخار وتمجيد : **« صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ، ونحن له عابدون »** (البقرة ١٣٨) .

واذا كانت اليهودية تدعو المنتصر الى قتل كل الأسرى من الرجال ، والى استعباد النساء والاطفال ، فان القرآن الكريم يمنع هذا العدوان بعد انتصار الحق ، وكسب المعركة بحرب صارمة لا بد منها ، للمقابلة بالمثل ، ولرد العدوان وردع الطغيان ، فيقول القرآن : **« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء »** (محمد ٤) أثخنتموهم : أوسعتموهم قتلا وجرحا . وشدوا الوثاق : احكموا قيد الاسرى منهم . ومنا : اطلاق الاسرى بلا مقابل .

وأعطى الاسلام الحق لولى المسلمين فى أن يعفو عن هؤلاء الأسرى ، اذا رأى المصلحة العامة فى ذلك . او يأخذ منهم الفداء اذا احتاج المسلمون الى ذلك .

ونحن لا ينبغى لنا أن ننسى موقف العفو الرائع من النبى صلى الله عليه وسلم ، بعد أن انتصر انتصاره الباهر فى فتح مكة ، حيث قال للمهزومين المدحورين من مشركى مكة : ما تظنون انى فاعل بكم .. ؟

فقالوا فى طمع ورجاء : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وعفا عنهم ، وقد كان قادرا على أن يعمل فيهم السيف كما تردد كتب اليهود .

وعلم النبى اتباعه أن الانتصار مع التمكن من الاسرى لا ينبغى أن يدفعهم الى الاسراف فى اسالة الدماء ، بل وذكرهم بالانسانية وحقوقها المشتركة ، فقال لهم فى شأن الاسرى الأرقاء : « ان الله تعالى ملككم اياهم ، ولو شاء لملكهم اياكم » .

وقرر أن من سيطر على اسير ، وأعطاه عهد الأمان على حياته ، فلا يجوز له أن يهدر عهد الأمان معه بعد ذلك . فقال عليه الصلاة والسلام : « من أمن رجلا على نفسه فقتله فأنا برىء من القاتل » .

وروى تاريخ الاسلام ما كان من أمر (الهرمزان — وهو احد اكابر الفرس — وقد أسره أبو موسى الأشعرى ، وبعث به الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان الهرمزان ذكيا داهية ، فاعتصم بالصمت امام الخليفة ، فقال له عمر : تكلم . فلم يتكلم ، فعاد عمر يقول له : تكلم لا بأس عليك ، وكان عمر يهم بقتله لما ارتكبه ، فلما سمع الهرمزان كلمة عمر له : « لا بأس عليك » طلب ماء ليشرب ، فجاءوا له بالماء ، وأمسك بالماء وقال لعمر : أأنا آمن حتى أشرب هذا الماء .. ؟ فقال له عمر : اشرب فلا بأس عليك .

فسكب الهرمزان الماء على الارض . وهنا قال أنس لعمر : قد أمنته بقولك لا بأس عليك .

فلم يستطع عمر أن يمسه بسوء ، خضوعا لما أعطاه اياه من أمان . وأسلم الهرمزان بعد ذلك .

وزاد الاسلام فى كرامته وسماحته مع الاسرى ، فأوجب الاسلام على المسلم ان ينفق على اسيره ، وان يطعمه مما يأكل ، وان يكسوه مما يلبس ، والا يكلفه فوق طاقته فى العمل . وها هو ذا القرآن المجيد يصف الاخيار الأبرار من عباد الرحمن فيقول عنهم فى سورة الانسان ٨ ، ٩ : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** » .

فالقرآن المجيد هنا يدعو المسلم الى ان ينظر الى الأسير نظرة العطف والرحمة ، لا نظرة التشفى والانتقام ، بعد أن صار اسيرا ضعيفا ، ولذلك عطفت الآية الكريمة (الأسير) على (المسكين واليتيم) ، وهما ممن يستحقون المعونة والاشفاق .

وقال معلم الانسانية سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فى الضعيفين : المملوك والمرأة » . كما أن مما أوصى به قبل موته وصيته « بالصلاة وما ملكت أيمانكم » .

وحث الاسلام على الترفق بالرقيق حثا قويا بليغا حتى قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لقد أوصانى حبيبى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » .

وشجع الاسلام المسلم على أن يتفق واسيره المملوك له على ان يكاتبه ، والمكاتبة هو أن يتفق المالك والمملوك على أن يؤدى المملوك قدرا معينا من المال لمالكه فى زمن معين ، فاذا فعل المملوك ذلك صار حرا . يقول القرآن الكريم عن ذلك فى سورة النور ٣٣ : « **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** » .

وبلغت سماحة الاسلام فى معاملة الأسرى مبلغا نبيلا كريما ، حيث منع التفريق فى الأسرى بين الوالدة وولدها ، حتى لا يتعرض الولد للضياع والحرمان من جهة ، وحتى لا تتعرض الام للقلق والخوف على ولدها من جهة أخرى ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مهددا من يفعل ذلك اقوى تهديد : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة »(١) .

وزاد الاسلام سماحة حين علم أبناءه أن يكونوا مؤدبين مهذبين حتى فى خطاب هؤلاء الأسرى الأرقاء ، فقال الحديث الشريف : « لا يقل أحدكم : عبدى وأمتى ، وليقل فتاى وفتاتى » فكأن هؤلاء أفراد من أسرة ذلك المالك الآسر .

وإذا كان التاريخ قد شهد ويشهد محاولات كثيرة من المجرمين الآسرين لحمل الاسرى على ترك عقيدتهم ، بطريق العسف والاكراه ، أو التهديد والوعيد ، أو الاعتداء والتعذيب ، فان الاسلام قد حرم هذا الاكراه ، وسد الباب فى وجه هذا العدوان ، فقال القرآن الحكيم فى سورة البقرة ٢٥٦ : **« لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »**

وجعل القرآن المجيد الهداية الى طريق الحق والنور ، من عمل الله الخالق البارىء المصور ، فقال عقب الآية الماضية : **« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »**

وفى الوقت نفسه وجه القرآن الى ترغيب الأسرى الضالين عن الحق الشاردين عن طريق الصواب فى الاهتداء الى شريعة العدل والنور ليسعدوا ويفوزوا وتصير لهم كرامة الاسلام وحقوق المسلمين فقال الحق عز من قائل فى سورة الأنفال (٧٠) **يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ، ويغفر لكم والله غفور رحيم .**

وفى الوقت نفسه حذر الله هؤلاء اللئام الأسرى أن يخدعوا أو يخونوا ، فقال عقب ذلك : **« وأن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم »** (الأنفال ٧١) .

وها هو ذا سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول فى هذا المجال « عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل » . وهو يريد بهذا — والله أعلم بمراده — ان من الأسرى المقيدين بالأغلال ، من يشرح الله صدره للإسلام فيسلم ، فيستحق رضوان الله عليه ، فيصير الى نعيم الجنة ، وقد كان قبل ذلك مقيدا بسلاسل الأسر والاسترقاق .

جاء فى كتاب « فتح البارى » لابن حجر : « قال : خير الناس للناس يأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام .

قال ابن الجوزى : معناه انهم أسروا وقيدوا ، فلما عرفوا صحة الاسلام دخلوه طوعا فدخلوا الجنة ، فكان الاكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول ، وكأنه أطلق على الاكراه التسلسل ، ولما كان هو السبب فى دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب .

وقال الطيبى : ويحتمل أن يكون المراد بالسلسلة الجذب الذى يجذبه الحق من خلص من عباده من الضلالة الى الهدى ، ومن الهبوط فى مهاوى الطبيعية الى العروج للدرجات » (٢) .

وقد اتسعت سماحة الاسلام فى هذا المجال حتى شملت عبيد المشركين انفسهم ، فقد كان من هدى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعتق عبيد المشركين ، اذا تركوهم ، وهاجروا الى المسلمين مهتدين ، وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه يقول فى شأن هؤلاء الأرقاء : « هم عتقاء الله عز وجل » .

بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد ، فاذا اختلفت — فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد » . رواه أحمد ومسلم . وللنسائى وابن ماجه وأبى داود نحوه .

الثانى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، وَالتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء » . رواه أحمد والبخارى .

ولقد أجمع المسلمون على تحريم الربا فى الأشياء الستة المنصوص عليها ، وقال أهل الظاهر النافين للقياس ان الربا محصور فيها فقط ، وقال جمهور أهل القياس أنه يجرى فى غيرها وأنه متعد منها الى سائر الأشياء التى تشاركها فى العلة ، ولكنهم اختلفوا فى تحديد تلك العلة اختلافا لم يسبق له مثيل فى تاريخ الفقه الاسلامى .

قال أبو حنيفة وأحمد فى احدى الروايتين عنه : العلة فى الذهب والفضة هى الوزن وبذلك أجريا الربا فى الحديد والرصاص والنحاس وغيرها من الموزونات ، وقال مالك والشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى : هى كونهما جنس الأثمان فلا يتعدى الربا منهما الى غيرهما من الموزونات وغيرها لعدم المشاركة .

أما الأصناف الأربعة الباقية ، فان الخلاف فى علتها كثير جدا بين المذاهب وفى داخل المذهب الواحد ، وسنكتفى بذكر أشهر الأقوال فيها . قالت الحنفية : هى الكيل ، وقالت المالكية : هى الاقتيات والادخار وما يصلح به الطعام المتقوت ، وقالت الشافعية : هى الطعمية (بضم الطاء) أى مجرد كون الشىء مطعوما ، وقال فريق من الحنابلة كقول الحنفية وقال بقيتهم كقول الشافعية . وقالت العترة بمثل ما قالت الحنفية فى الأصناف الستة . وقال ربيعة : كل ما يجب فيه الزكاة يحرم فيه الربا فلا يجوز بيع بعير ببعيرين .

واتفق العلماء على أنه لا يجوز بيع الربوى بعضه ببعض متفاضلا سواء كان يدا بيد أو أحدهما مؤجلا ، وعلى أنه لا يجوز التفرق قبل التقابض اذا باعه بجنسه أو بغير جنسه مما يشركه فى العلة كالذهب بالفضة والبر بالشعير ، وعلى جواز بيع الربوى بربوى لا يشاركه فى العلة متفاضلا ومؤجلا كبيع الذهب بالحنطة وبيع الفضة بالشعير ، وعلى جواز التفاضل عند اختلاف الأجناس اذا كان يدا بيد كصاع تمر بصاعى شعير .

ولقد أحصى ابن حزم الظاهرى فى باب البيوع من كتابه « المحلّى » (الجزء الثامن ، ص ٤٦٧ — ٥١٨) جميع علل الفقهاء فى تحريم ربا الفضل وأفاض فى ايراد حججهم وتفنيدها بمنطق رصين شابه بمهاترات وددنا لو ترفع عنها .

وكان ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما يعتقدان جواز بيع الجنس بعضه ببعض متفاضلا اذا كان يدا بيد ، وأن الربا لا يحرم فى شىء من الأشياء الا اذا كان نسيئة أى مؤجلا ، وكان معتمدهما الحديث المتفق عليه عن أسامة ابن زيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : انما الربا فى

النسيئة . ثم رجعا عن قولهما هذا عندما بلغهما حديث النبى عن التفاضل في غير النسيئة . وذكر مسلم رجوعهما صريحا حين بلغهما حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقد أجمع المسلمون على ترك العمل بظاهر حديث أسامة ..

٣ ـ الجهود التى بذلت لحسم الخلاف :

نجد فى العصور الماضية وفى عصرنا هذا رجالا بذلوا مشكورين جهودا متواصلة لحسم الخلاف القائم حول العلة فى ربا الفضل ، ولكنهم لم يسلموا أنفسهم من الخلاف . فمنهم الذين استصوبوا رأى أهل الظاهر حين رأوا ضعف العلل التى استنبطها الفقهاء علاوة على اضطرابها ، ومنهم المتشبثون برأى ابن عمر وابن عباس ومن تابعهما غير ملتفتين الى رجوعهما أو الى اجماع الأمة ، ومنهم من رجح احدى العلل التى قال بها أحد الأئمة على ضوء الحكمة التى انكشفت له . وأشهر من سلك هذا الطريق أبو حامد الغزالى وابن رشد وابن قيم الجوزية رحمهم الله . فقال الأول ان الحكمة فى منع التفاضل بين جيد الصنف الواحد ورديئه هى اسقاط الشارع الحكيم غرض التنعم فى المطعومات لتكافؤ الجيد والردىء منها فى أصل الفائدة ، ومن هنا بدت له صحة علة الشافعى أى أن العلة فى الأصناف الأربعة كونها مطعومة . وقال الثانى هكذا : لما كانت الأشياء المكيلة أو الموزونة لا تختلف كل الاختلاف وكانت منافعها متقاربة ، ولم تكن حاجة ضرورية لمن كان عنده منها صنف أن يستبدله بذلك الصنف بعينه الا من جهة السرف كان العدل فى هذه الأشياء أن تباع بعضها ببعض متساوية فى الكيل أو الوزن اذ كانت لا تتفاوت فى المنافع ، ومن ثم ذهب الى ترجيح علة الحنفية فى الأصناف الستة أى كون هذه الأشياء موزونة أو مكيلة . والحقيقة أن عبارة ابن رشد فى غاية الغموض وما ذكرناه هنا هو غاية ما فهمناه منها . وقال ثالثهم ابن القيم الربا نوعان : جلى وهو ربا النسيئة الذى حرم قصدا ، وخفى وهو ربا الفضل الذي حرم وسيلة وسدا للمسالك التى تقود الناس الى ربا النسيئة . وصرح ابن القيم بتصويبه لعلة المالكية فى الأصناف الأربعة أى كونها أقوات الناس وما يصلحها .

ولقد ارتضى الباحثون المعاصرون قول ابن القيم فى حقيقة ربا الفضل ، ولكنهم لم يتابعوه فى ترجيح علة المالكية كما لم يحاولوا استصواب أى علة معلومة أو الكشف عن علة جديدة .

٤ ـ رأينا فى مسلك الفقهاء :

من السهل علينا أن نعبر عن رأينا فى منهج الفقهاء الذين وفقوا فى الكشف عن العلل المختلفة باستخدام اصطلاح شائع فى الرياضيات الحديثة .

اتفق علماء الرياضيات فى وقتنا هذا على اعطاء لفظة « مجموعــة » أو « فئــة » معنى أضيق مما عرفه الناس عامة ، فقالوا المجموعة أو الفئة عدد من الأشياء تشترك جميعها فى خاصية أو أكثر تميزها تمييزا لا لبس فيه ولا غموض عن سائر الأشياء الأخــرى . مثال ذلك لو تحدثنا عن مجموعــة الأشياء التى أجمع المسلمون على تحريم الربا فيها فاننا نقصد الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ولا شىء سواها حيث أن الخاصية المميزة لها عن ســائر الأشياء هى تحريم الربا فيها باجماع المسلمين ، وأما غيرها فلم يجمع المسلمون عليها . ويسمى الرياضيون الأشياء المكونة للمجموعة أى التى تحويها المجموعة أعضاء أو عناصر المجموعة ، فنقول على سبيل المثال الشعير عضو أو عنصر فى مجموعــة الأشياء التى يجــرى فيها الربــا بالاجماع . وبهذا الاصطلاح السائد عند الرياضيين نقول ما يلى :

نلاحظ أن جميع الفقهاء درجوا على تقسيم الأشياء الستة التى خصــها النبى صلى الله عليه وسلم الى مجموعتين مستقلتين أو أكثر من ذلك . فنراهم وضعوا الذهب والفضــة فى مجموعة منفصلة ، ثم عمدوا الى الأربعــة الباقية فتارة اعتبروها مجموعة واحدة ، ومرة جعلوها مجموعتين فوضــعوا البر والشعير والتمر فى واحدة ، والملح فى أخرى ، وحينا وزعوها بين ثلاث مجموعات تشمل أولاها البر والشعير ، والثانية التمر ، والثالثة الملح . وبعــد هذا التوزيع أو ذاك نظروا الى كل مجموعة كأنها ممثلة تمثيلا صادقا لمجموعة كبرى تتكون من عناصر تشترك جميعها فى صفة أو صفات تميزها عن بقيــة الأشياء ، ثم اعتبروا هذه الصفة أو تلك الصفات المميزة العلة المانعة للتفاضل فيها . ولعل هذه الطريقــة التى اتبعوهــا فى تقسيم الأصــناف المنصوص عليها هى من أهم العوامل التى حجبت الحقيقة التى انكشفت لنا وأدت الى اختلاف وجهات النظر بينهم والله أعلم .

٥ ــ هــل من علة جــديدة ؟

ان الذى استرعى انتباهنا هو ذكر الشارع الحكيم للأشياء الستة من غير تفريق بينها ، فلذلك لاح لنا أنه ربما كان الأصوب أن ينظر اليها كعناصر فى مجموعة واحدة لا غير ، وأنها تشترك جميعا فى خاصية تميزها عن سائر الأشياء الأخرى . وبدا لنا أيضــا أنه لو عثرنا على هذه الخاصية المميزة لاستطعنا أن نقول هى علة التحريم وأن الربا يجرى فى كل الأشــياء التى تتوافر فيها هذه الخاصــية .

واذا استعرضنا الصفات التى يمكن أن تكون مشتركة بين جميع الأصناف الســتة لظهر لنا أن الأمر الذى يستحق البحث هــو احتمال استخدام البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية فتكون مشاركة للذهب والفضة فى أداء وظيفــة النقود . فيجب علينا أولا أن نثبت أن الأصناف الأربعة كانت فعــلا نقودا سلعية . وثانيا أن نبحث عن حكمة القيــود التى وضعها الشارع عند

التعامل بالربويات . وثالثا أن ننظر فيما يترتب على قولنا أن علة الربا فى الأصناف الستة هى النقــدية .

٦ — كيفية التعامل بالذهب والفضة فى العهد النبوى :

يظهر لنا من وصف المقريزى لنقود الجاهلية وصدر الاسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم وجد الناس يتعاملون بالذهب والفضة وكان بعض هذين المعدنين مسكوكا وبعضهما تبرا اى غير مسكوك . وكانت القطع المسكوكة التى ترد عادة من الروم والفرس تختلف فى الوزن خاصة الدراهم من الفضة لذلك تواطأ الناس على صنج معلومات لوزن المعدنين وســموا زنة واحــدة منها من الفضة مسكوكة كانت أو تبرا : درهما ، كما سموا زنة صنجـــة أخرى من الذهب مسكوكا كان أو تبرا : دينارا . والثابت أنهم كانوا يرجعون دائما الى الميزان لتقدير عدد الدراهم والدنانير ولا يعولون أبدا على عد القطع المسكوكة لاختلاف أوزانها .

ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اقر الناس على ما كانوا عليه ، وحسم ما قد ينشب من نزاع عند الوزن بأن جعل صنج مكة الوحدات القياسية التى يجب أن يرجع اليها كما أمر بالرجوع الى مكيال المدينة عند الاختــلاف فى الكيل بقوله صلى الله عليه وسلم : « المكيال مكيال أهل المدينة ، والوزن وزن أهل مكة » (رواه أبو داود والنسائى والبزار وصححه ابن حبان والدار قطنى جميعهم عن ابن عمر . وفى رواية عن ابن عباس مكان ابن عمر) .

وقطع النبى صلى الله عليه وسلم مادة الخلاف حول نوعية الذهب عند التبادل بأن ساوى بين جميع أنواعـــه من مضروب ومنقوش وجيــد وردىء وصحيح ومكسر وحلى وتبر وخالص ومغشوش ، وكذلك فى الفضة . وبهذا الأمر الواضح الصريح اسقط الشارع الحكيم القيمة الذاتية للمعدنين دفعــة واحدة وأصبغ عليهما صفة التجانس اللازم توافرها فى النقود المعدنيـــة أو النقود السلعية لكى تكون مقياسا ثابتا للقيمة ، وبذلك استطاع الدرهم والدينار أن يؤديا الوظيفتين الرئيسيتين والثانويتين للنقود . أما الوظيفتان الرئيسيتان فهما : (أ) وسيط للمبادلة (ب) مقياس للقيمة ، وأما الوظيفتان الثانويتان فهما : (جـ) مستودع للقيمة (د) مقياس للدفع المؤجل .

ولو لم يحرم النبى صلى الله عليه وسلم التفاضل فى المعدن الواحــد بسبب الاعتبارات النوعية ، ولو لم يأمر صلى الله عليه وسلم باستعمال وحدات قياسية معينة عنــد الوزن وهى صنج مكة لاستفاد من الوضع المضطرب أهل الغش الذين يعرفون جيدا خصائص المعادن والفروق بين الصنج المختلفة ، وذلك لأنه فى وسع الحاذق منهم أن يقنع الناس بوجــود تفاوت حقيقى أو متوهم فى نقاء الكميات المتبادلة من الذهب أو الفضة فيأخذ منهم مقادير أكبر مقابل مقادير أقل بحجة انه أعطى جيدا واخذ رديئا بينما يعلم تماما أن القوة الشرائيـــة لكل أنواع الذهب والفضة واحــدة فى عين البسطاء . وبهــذا الأسلوب المحبب للذين لا يرقبون فى ضحاياهم قرابة ولا ذمة استطاع بعض

الأفراد خاصة اليهود الذين مارسوا تزييف النقود وتعويج الموازين أن يكثروا أموالهم بالباطل . ولو أخذنا برأى ابن رشد القائل : يظهر من الشرع أن المقصود بتحريم الربا انما هو لمكان الغبن الكثير فيه . لكان من حقنا أن نقول لقد كان ربا الفضل ربا حقيقيا وحرم قصدا لا وسيلة . وان الفارق الوحيد بينه وبين ربا النسيئة هو أن المرابى قد استغل فى الأول جهل الناس ، وفى الثانى عجزهم عن سداد الدين عند حلوله .

٧ ـ النقـود فى المجتمعات المتخلفة :

تعطينا معرفة النظم الاقتصادية التى كانت موجودة الى وقت قريب جدا فى المجتمعات البدائية التى تسودها الأمية فكرة صادقة عما كان سائدا عند العرب الأميين خاصة أهل البادية حينما بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم تتضح للقارىء صحة ما ذهبنا اليه أى أن البز والشعير والتمر والملح كانت نقودا سلعية (أو سلعا نقدية كما يقول آخرون) . والمقصود بالسلعة النقدية أى سلعة يستخدمها أفراد مجتمع بدائى لقياس قيم السلع الأخرى . وغالبا ما نجد أكثر من سلعة نقدية فى نفس المجتمع .

مثال ذلك ما كان شائعا بين أفراد احدى القبائل التى تعيش فى جزر الفلبين من استخدامهم للأرز الذى هو غذاؤهم الرئيسى والخنازير والجواميس وقلادات الذهب والخرز والأجراس والجرار المملوءة بالخمر المصنوع من الأرز ونوع خاص من البطاطين لتكفين موتاهم كسلع نقدية . وتستخدم بعض قبائل الكنغو كنقود سلعية قضبانا من الحديد وعددا من الأشياء المصنوعة من هذا المعدن مثل الفؤوس والخواتم . ويعتبر الملح سلعة نقدية عند بعض القبائل التى تعيش فى أقليم كتانجا ، وكان معتبرا كذلك فى أواسط سيراليون حتى عام ١٩١٣ الذى تم فيه انشاء خط السكة الحديد وفقد الملح مكانته بسبب الكميات الكبيرة التى أصبحت تصل منه الى الأسواق .

ولقد كان شعب الولف الافريقى المسلم الذى يعيش فى المنطقة الممتدة بين نهرى السنغال وغامبيا يستعمل الحبوب والثياب التى يصنعها من القطن المحلى كنقود سلعية . وكذلك كان شائعا فى كثير من أجزاء السودان استعمال الذرة والثياب المصنوعة محليا كنقود سلعية بجانب الريال الاسبانى، كما استعمل سكان الجزء الغربى منه بجانب الذرة الدخن قطعا صغيرة من الحديد يصنعون منها الرماح والمدى والبلط وما اليها لنفس الغرض . أما فى الصفقات الكبيرة فقد كانوا يتبايعون بالبقر . وكانت الخاصية المميزة للثياب التى استخدمها السودانيون وشعب الولف كنقود سلعية أنها ثابتة الطول والعرض .

٨ ــ طبيعـــة النقـــود الســـلعية :

يمكننا ان نلخص ما يهمنا من آراء الباحثين الذين قاموا بدراسة النظم الاقتصادية فى المجتمعات البدائية فيما يلي : ــ

أولا ــ تعتبر النقود السلعية مرحلة انتقالية بين نظام المقايضة البحتة ونظام النقود المعدنيـــة .

ثانيـــا ــ يجب التحقق من مكانة الشيء فى اى نظام اقتصادى قبـــل اعتباره نقـــدا او مجرد سلعة سوقية ، فان كان يستعمل لقياس قيم السلع الأخرى أو يستبدل بسلع مختلفة أو يعطى مقابل خدمة فهو نقد حتى لو استخدم احيانا فيما يتصـــل بالسحر او الزينة .

ثالثـــا ــ يعتبر الشيء سواء كان معدنا أو حجرا أو صـــدفا أو سلعة استهلاكية أو غير ذلك نقداً طالما استخدم فى الدفع مقابل الأشياء الأخرى أو الخدمات المختلفة .

رابعـــا ــ زعم كارل بوخر (اقتصـــادى المانى عنى بدراسة التطـــور الاقتصادى فى أوروبا) أن نقد أى قبيلة هو تلك السلعة التجارية التي لا تنتجها بنفسها بل تتحصل عليها بانتظام من القبائل الأخرى عن طريق المبادلة . ويعرف هذا القول بقانون بوخر .

خامســـا ــ من اهم خواص السلعة النقدية التجانس (اى انها ذات طبيعة واحدة أو تكوين واحد حتى تبـــدو متشابهة تمـــاما مثل الثياب التى استخدمها شعب الولف والسودانيون) وسهولة النقل وقابلية التجزئة وبطء التلف ، كما انها تشارك النقود المعدنية فى أداء الوظيفتين الأساسيتين (أى كوسيط للمبادلة وكمقياس للقيمة) ولا يشترط أن تشاركها فى القيام بالوظيفتين الفرعيتين (أى كمستودع للقيمة وكمقياس للدفع المؤجل) ، وذلك لأن السلعة النقدية تختلف من النقود المعدنية بكونها ذات قيمة ذاتية كغيرها من السلع السوقية التى يحكمها قانون الطلب والعرض ، وبأنها أسرع تلفا .

سادســـا ــ لم تكن المجتمعات البدائية التى استخدمت النقود السلعية فى معزل عن المجتمعات المتقدمة التى كانت تستخدم النقود المضروبة .

٩ ــ اثبات ان البر والشـــعير والتمر والملح كانت سلعا نقـــدية :

ذكرنا فى البنـــد الســـابق أن الحبـــوب والملح وبعض الحيوانات قد استعملت بالفعـــل كنقود سلعية فى بعض المجتمعات البدائيـــة المعاصرة ، فلذلك ليس بمستغرب لو استعمل العرب فى الجاهلية والاسلام هذه السلع الرئيسية الأربع وكذلك الابل والبقر والغنم كنقود سلعية ، بل من المؤكد أنهم فعلوا ذلك كما يفهم من العـــديد من الأحاديث النبـــوية والآثار المـــروية عن الصحابة الواردة فى استخدام هذه الأشياء كوسيط للمبادلة نظرا لقلة الذهب

والفضة بل لا نعدامهما فى بعض الأمكنة . روى البيهقى فى سننه أن عمرو بن حريش قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : انا بأرض ليس فيها ذهب ولا فضة افأبيع البقرة بالبقرتين والبعير بالبعيرين والشاة بالشاتين . وهذا دليل على أن الناس فى هذا الموضع يتبايعون بالابل والبقر والغنم كما قلنا .

وقال الامام الشافعى رحمه الله : إن الحنطة تجوز بالحجاز التى بها سنت السنن جواز الدنانير والدراهم . وقال أيضا : إن الحنطة ثمن بالحجاز ، والذرة ثمن باليمن . وهذا يؤكد صحة ما قلناه عن السلع التى خصها النبى صلى الله عليـــه وسلم بالذكر ، اى انها كانت سلعا نقدية .

١٠ ـــ حكمة منع التفاضل فى الصنف الواحد :

يستفاد من بعض الأخبار الصحيحة أن نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيع الصنف بعضه ببعض متفاضلا جاء بعد فتح خيبر وعلمه بما كان يجرى فى سوقها الذى احتكره اليهـــود قرونا طويلة من بيع الصـــاع بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، من الصنف الواحد بحجة التفاوت النوعى بين المقـــادير المتبادلة . ومن هنا نشأت نسب متعددة لتقويم الأنواع المختلفة داخل الصنف الواحد الذى اتفق الناس على استخدامه كنقود سلعية . ومثل هذا الوضع يفرض على المتبايعين أن يتساويا فى معرفة قيم السلع السوقية بالنسبة لكل نوع من هذه النقود السلعية حتى لا يخدع احدهما الآخر . وهذا شرط لا يمكن أن يستوفيه الا فئة قليلة من جمهور المستهلكين . ويبدو أن اليهود استغلوا هذا الوضع المربك للعرب الأميين عند التعامل معهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم تحريم الشارع الحكيم للتفاضل فى الصنف الواحد بمثابة اصلاح للنظام الاقتصـــادى القائم يستهدف ابطـــال النسب المتعددة داخل كل سلعـــة نقدية لكى تصبح مقياســـا موحدا سهل الاستعمال . ولولا هذا التحريم لأصبحت هذه النسب قوانين ثابتة وأحكامـــا شرعية راسخة تستمد قوتها من إقرار النبى صلى الله عليه وسلم للعاملين بها . ويمكننا أن نتصور كثرة النسب التى كان من المحتمل استنباطها بواسطة الفقهاء عن طريق القياس ، وربما اضطروا الى وضع جداول لها وبذلك تصير عملية التبادل عسيرة على أهل الورع من المتعلمين فضلا عن الأميين . وبعبارة اخرى لقد خدم التحريم جمهـــور المستهلكين بأن وضع فى أيديهـــم مقاييس بسيطة لتقويم السلع المختلفة وبذلك وفر عليهم كثيرا من الوقت الذى كان يضيع فى النزاع حول الفروق النوعيـــة للنقود السلعية وحماهم من الغبن الذى كثيرا ما وقع عليهم نتيجة لجهلهم بهذه الأمور .

١١ ـــ كيف رعى الشارع الحكيم مصالح الآخرين ؟

والذى يعقد الأمر ويحول دون رؤية الحكمة فى منع التفاضل فى الجنس الواحد بوضوح هو ان هذه الأجناس التى أصبحت تقوم بدور النقود هى فى

المقام الأول سلع استهلاكية لها قيم ذاتية تعتمد على درجاتها من الجودة والرداءة وغير ذلك من الصفات التى تهم المستهلك . ونتيجة لتفضيل المستهلكين بعض أنواع الجنس الواحد على بعض كان من الطبيعى أن يطالب أحد المتبايعين بأن يزاد فى الكيل أو الوزن بحجة أنه أعطى أجود مما أخذ ومن ثم ظهرت النسب المتعددة لمقايضة الأنواع . ولما كان منع التفاضل الذى يعنى النهى عن التعامل بهذه النسب فى الجنس الواحد يرعى مصلحة جمهور المستهلكين الذين لا يعرفون الفوارق الدقيقة بين الأنواع بنفس القدر الذى يعرفه الملازمون للأسواق ومصلحة الأميين الذين لا يحسنون الحساب ، فان النبى صلى الله عليه وسلم رعى أيضا مصلحة المتبايعين عند وجود تفاوت حقيقى أو ظنى بين الأنواع المتبادلة بارشادهم الى الطريقة المثلى التى بينها لبلال فى الحديث المروى عن أبى سعيد الخدرى قال : جاء بلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر برنى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين هذا ؟ قال بلال :كان عندنا تمر ردىء فبعت منه صاعين بصاع ليطعم النبى صلى الله عليه وسلم ،فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذاك : أوه عين اربا ، لا تفعل . ولكن اذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به . (رواه البخارى ومسلم والنسائى) . والتمر البرنى أجود أنواع التمر كما يقال ، وربما كان تأوه النبى صلى الله عليه وسلم مبالغة فى الزجر أو تألما من سوء فعل بلال أو فهمه والله أعلم . فالطريق القويم هو أن يبيع المرء ما عنده من تمرردىءبدراهم أو دنانير أو قمح أو أى سلعة نقدية أخرى ثم يشترى بثمنه التمر الجيد .

١٢ ـ مزايا هذا التوجيه النبوى :

والمهم فى الأمر هو ضرورة ادخال وسيط آخر للمبادلة لتقدير النسبة التى يجب أن يتم بها تبادل نوعى التمر بدل التوصل اليها مباشرة عن طريق المساومة كما فعل بلال . والسبب الذى استوجب هذا الاجراء هو أن التمر قد فقد فى هذه العملية وظيفته كسلعة نقدية وأصبح كل نوع منه سلعة سوقية مستقلة بذاتها فلذلك احتاج المتبادلان الى تقويم تمريهما بواسطة مقياس مستقل لكى يتوصلا الى نسبة عادلة للتبادل . وبعبارة أخرى ، لقد مكن الشارع الحكيم ميكانيكية (أو آلية) السوق من القيام بدور الحكم المحايد لتقدير النسبة التى يجب أن يتم على أساسها تبادل الجيد والردىء من التمر . وتم اعطاء الفرصة لآلية السوق لكى تعمل بواسطة السلعة النقدية الجديدة التى أدخلت فى العملية فأدت الى شطرها الى عمليتين مستقلتين واحالتها الى بيع منفرد وشراء منفرد .

وأقل ما يقال عن محاسن الطريقة التى أرشد اليها النبى صلى الله عليه وسلم حتى ولو أدت أخيرا الى نفس النسبة التى يتوصل اليها المتبايعان مباشرة أنها أبعد الوسيلتين الحاقا للغبن بأحدهما وأقلهما مضيعة للزمن علاوة على أنها صانت لكل سلعة نقدية وحدتها القياسية التى اكتسبتها بمنع بيع بعضها ببعض متفاضلا .

١٣ — حكمة منع بيع الأصناف الربوية نساء :

اجمع المسلمون على منع بيع الصنف الربوى بعضه ببعض نساء ، واتفقوا على منع النساء فى بيع الذهب بالفضة وفى بيع أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها . كما اتفقوا على جواز بيع أحد الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة نساء .

والسر فى ذلك — والله أعلم — هو منع الغبن الفاحش الذى قد يلحق بأحد المتبايعين على واحدة من هذه الصور . مع افتراض عدم التفاضل فى المقادير المتبادلة :

أولا — اذا باع شخص شيئا بجنسه مؤجلا فهو بمثابة دين للمشترى ، وعليه يجب مراعاة أحكام الديون فى هذه الصورة حتى لا يظلم أحد الطرفين الآخر كان يعطى رديئا ويشترط أن يرد اليه جيدا ، أو يعطى فى زمان رخصه ويشترط أن يرد اليه فى زمان غلائه .

ثانيا — اذا بيع الذهب بالفضة نساء ، أو أحد الأصناف الأربعة الباقية بآخر منها نساء فانه قد يلحق أحد الطرفين غبن كبير نتيجة للتقلبات المفاجئة فى أسعار هذه السلع بسبب أو آخر مثل وصول قافلة محملة ببعض هذه السلع فتهبط قيمتها بنسبة كبيرة عما كانت يوم ابرام الصفقة ، أو اصابة المحاصيل بآفة فيرتفع ثمنها كثيرا عما كان يوم عقد البيع . أما جواز بيع الأصناف الأربعة بالذهب أو الفضة فيرجع أساسا لثبات قيمة هذين المعدنين نتيجة لضآلة الكميات المستخرجة منهما سنويا بالنسبة لما هو فى أيدى الناس بحيث لا تؤثر الزيادة السنوية فى العرض الكلى لكل من هذين المعدنين تأثيرا يذكر . وبفضل هذه الخاصية التى تميز بها هذان المعدنان عما سواهما من أنواع النقود السلعية أصبحا قادرين على قياس الدفع المؤجل .

ثالثا — القصد من منع التفرق قبل التقابض هو انجاز عملية التبادل بالسرعة التى تؤمن الطرفين من التقلبات المفاجئة للأسعار ، وفى جو من الثقة التى قد تتزعزع بسوء ظن أحد المتبايعين بالآخر اذا غاب عن نظره بسلعته قبل أن يوفيه حقه خاصة اذا كان ممن عرفوا بالغش والخيانة مثل اليهود الذين وصفهم جل ثناؤه بقوله : **((ومنهم من أن تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل))** . (آل عمران : ٧٥) ، وفسر ابن عباس قوله عز وجل **((ومنهم من إن تامنه بدينار لا يؤده اليك))** بقوله : ((ومنهم من تبايعه بثمن الدينار لا يؤده اليك)) ، وفسر السدى قوله تعالى : **((الا ما دمت عليه قائما))** بقوله : ((الا ما دمت قائما على رأسه بالاجتماع معه والملازمة له)) والمعنى أنه انما يكون معترفا بما دفعت اليه ما دمت قائما على رأسه فان أنظرت وأخرت أنكر ، وكانوا يستحلون الخيانة بحجة أنه لا اثم عليهم فيما أصابوا من أموال العرب وغيرهم من الأمم (١٤) .

أما عدم مفارقة أهل التقوى والصلاح بعضهم البعض حتى يتم التقابض فانما نفسره بحرصهم البالغ على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل ما أمر وان لم يروا ما يستوجبه لأنهم يأتمنون بعضهم البعض — والله أعلم .

١٤ — كيف استغل اليهود سذاجة العرب ؟

ذكرنا فى حديثنا عن الذهب والفضة أن التمييز بين الجيد والردىء لا يعرفه العامة الا اذا كان الفارق فاحشا ، أما الفوارق الضئيلة فلا يدركها الا الحذاق من الناس .. وكذلك يمكننا أن نقول هنا لقد كان أهل المدينة أعرف الناس بأنواع التمر لكثرة النخيل عندهم ولهذا لم يروا بأسا فى بيع صاع من الجيد بصاعين من الردىء ، بينما كان أكثرهم لا يميزون بين البر والشعير حتى قالوا أنهما صنف واحد وهكذا اعتبرهما مالك ومعظم علماء المدينة . وهناك من عدّ الدخن والذرة والأرز صنفا واحدا بينما يستطيع أقوام التمييز والمفاضلة بين كثير من الأنواع التى يحويها أى واحد من هذه الأصناف التى اعتبرت صنفا واحدا . فاذا كان كثير من الناس لا يفرقون بين الصنفين أو الثلاثة ، فكيف نتوقع من الأعراب أن يميزوا بين أنواع التمر بنفس القدر الذى يفعله المتفكهون من أهل المدينة ؟

ويبدو أن يهود المدينة قد استغلوا لأقصى حد عدم تساوى معرفة المستهلكين بالمواد الغذائية الرئيسية بالطريقة الآتية أو مثلها . كانوا يأخذون من المستهلك القادر على التمييز بين أنواع التمر مثلا مقدارا مما يعرضه عليهم من الردىء يزيد بكثير على ما يعطونه له من الجيد وهو راض بذلك لأنه زاهد فيما عنده وراغب فيما لديهم ، ثم يبيعون هذا التمر الردىء بأسعار عالية للذين تتساوى كل الأنواع فى نظرهم . وقد يحدث عكس هذه العملية اذ كانوا يأخذون من البسطاء الأنواع المختلفة أو الأصناف المتباينة بسعر واحد على أساس أنها شىء واحد ثم ينوعونها أو يصنفونها ويبيعونها للقادرين على التمييز والمفاضلة بأسعار متفاوتة قد تصل الى ضعف ما اشتروا به . ولقد مارس بعض التجار السودانيين الذين لا يخشون الله العملية الثانية هكذا . اعتاد التجار الذين هم من شمال السودان وأكثر وعيا من غيرهم أن يسافروا ومعهم كميات من الملح الى المناطق المتخلفة التى يزرع فيها خمسة أنواع من الذرة التى هى الغذاء الرئيسى لأهل السودان ويشتروا هذه الأنواع المختلفة بسعر واحد من المزارعين البسطاء بدعوى أنهم لا يعرفون أى فرق بين نوع ونوع ولكنهم كانوا يضعون كل نوع على حدة ، وكانوا يعطونهم الملح ثمنا لذلك . ثم يرحلون الذرة الى مدن السودان الرئيسية ويبيعون كل نوع بسعر خاص وقد يبلغ سعر أجود الأنواع ضعف سعر أدناها .

١٥ — حقيقة ربا الفضل :

كان يهود المدينة يزيفون الذهب والفضة ويتلاعبون بالأوزان ، وكانوا ينتجون أجود أنواع التمر ليبيعوه للمستهلكين من ذوى السعة بأكبر مقدار من أبخس أنواع التمر الذى لا يرغبون فى الاحتفاظ به لا لشىء الا لكى يبيعوه للمساكين والمضطرين عندما يعز الطعام وتختفى من السوق الأنواع الجيدة بسبب استهلاكها أو ادخارها فى البيوت المتيسرة الحال للقوت ، فيطلبون منهم

أثمانا عالية ويملون عليهم شروطا قاسية اذا أعطوهم نسيئة. وكثيرا ما أهدرت تلك الشروط كرامة المضطرين وحريتهم اذ كانوا يرفضون أن يعطوهم أى دين ما لم يرهنوا عندهم سلاحهم بل نساءهم وأطفالهم كما ذكر ابن هشام فى قصة مقتل كعب بن الأشرف اليهودى من أنه طلب من أبى نائلة وكان أخاه من الرضاعة أن يأتيه هو وأصحابه بنسائهم أو أولادهم كرهائن لكى يبيعهم طعاما نسـيئة .

ويشهد على صحة ما قلناه عن اليهود ما جاء على لسان نبيهم عاموس الثائر على ظلمهم للعباد بل لبنى جلدتهم ، فهو يقول لهم منذرا : اسمعوا هذا أيها المتهممون المساكين لكى تبيدوا بائسى الأرض . قائلين متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحا والسبت لنعرض حنطـة . لنصغر الايفـة ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش . لنشترى الضعفاء بفضة والبائس بنعلين ونبيع نفاية القمح . وقد أقسم الرب بفخـر يعقوب أنى لن أنسى الى الأبد جميع أعمالهم .

تحكى لنا هذه العبارة أساليب المكر والخيانة التى ابتكرها تجار بنى اسرائيل لأكل أموال المساكين بالباطل . وتحدثنا أنهم كانوا فى غاية الجشع حتى تضايقوا من رأس الشهر ومن السبت لعدم السماح لهم بالعمل فى هذه الأيام . فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر مجىء الأيام الأخرى ليزاولوا أعمالهم الذميمة من تصغير للمكيال المسمى بالايفة وتكبير للصنجة المسماة بالشاقل وتعويج للموازين حتى يأخذوا أكثر مما هو لهم ويعطوا أقل مما يجب عليهم . كانوا يستعملون الايفة لكيل القمح والحنطة عند البيع فلذلك صغروها لكى يظلموا الشارى بانتقاص حقه ، وكانوا يستعملون الشاقل لوزن المال المدفوع ـــ ذهبا كان أو فضة ـــ بواسطة الشارى فلذلك زادوا فى وزنه لكى يظلمـوا الشارى مرة ثانية بأن يأخذوا من ماله أكثر مما هو لهم . ولم يكتفوا بذلك بل ظلموه مرة ثالثة باستخدام الموازين المعوجة عن قصد .

يقول عاموس : إنهم استرقوا أخوانهم المساكين الذى عجزوا عن دفع ديونهم التى قد تكون ثمن نعلين فقط وباعوهـم كعبيـد بأبخس الأثمـان ، وباعوا حثالة القمح ورذالته للمضطرين بأبهظ الأثمان . أخذوا كل ما فى أيدى الناس ظلما حتى أفقروهم وسلبوهم حريتهم .

وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نرى بوضوح أن بيع الردىء بالجيد من الصنف الواحد ـــ خاصة التمر ـــ متفاضلا قد مارسه يهود المدينة الذين احتكروا انتاج أجود أنواع التمر بقصد الحصول على أكبر مقادير من حثالتـه بأقل الطرق تكلفة مستغلين حاجـة المستهلكين للأنواع الجيدة وزهدهم فى الأنواع الرديئة التى بأيديهم عند وفرة الطعام . وغرضهم من كل هذا هو كما قال عاموس أن يبيعوا هذه الحثالة للمضطرين بأبهظ الأثمان خاصة عندما يعز الطعام ولا يجدون شيئا سواه للبقاء على حياتهم .

ولا ريب فى أن الكسب الذى يحصلون عليه بهذا الأسلوب سحت محض بن هو صنو الربا لفداحة الغبن الذى فيه . ومن هنا يتضح للقارىء صحة ما ذهبنا اليه من أن ربا الفضل ربا حقيقى وليس مجرد وسيلة لربا النسيئة وانه يعتمد تارة على استغلال جهل الناس كما ذكرنا فى نهاية البند السادس ، وتارة على استغلال حاجتهم كما حاولنا أن نثبت هنا . اما ربا النسيئة فانه يعتمد أساسا على استغلال عجز المدين عن سداد الدين عند حلوله . وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال « عين الربا » .

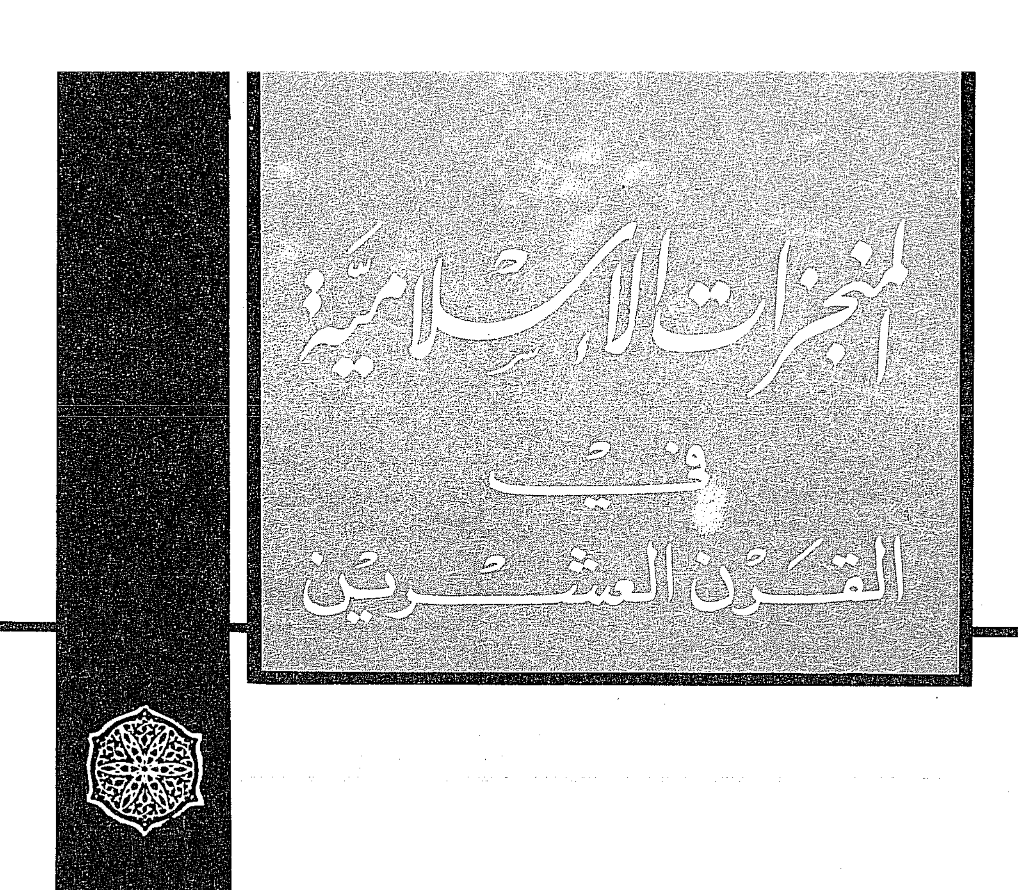
١٦ ـ خلاصة البحث :

أولا ــ كانت تستعمل السلع الرئيسية الأربع وهى البر والشعير والتمر والملح كنقود سلعية مساعدة للذهب والفضة فى مجتمع المدينة . ويستفاد من عبارة عمرو بن حريش أن الابل والبقر والغنم كانت تستعمل أيضا كوسيط للمبادلة فى بعض أجزاء الجزيرة العربية . فلذلك نرى ان علة تحريم ربا الفضل فى الأصناف الستة المنصوص عليها واحدة وهى النقدية .

ثانيا ــ لا يمكن ان نضع قائمة بالأشياء التى يجرى فيها ربا الفضل على ضوء العلة التى ذكرناها وذلك لأن الأشياء التى يقع عليها اختيار الناس لكى تقوم بدور النقود تختلف من بيئة الى أخرى بحيث يتعذر علينا معرفتها سلفا .

ثالثا ــ ان منع الشارع الحكيم لبيع الصنف الربوى بعضه ببعض متفاضلا ناجزا أو نسيئة ينطوى على مقاصد عديدة لا يدركها جميعا الا من نظر الى الأمر من عدة زوايا كما حاولنا أن نفعل . مثال ذلك ، لو نظر الى الأصناف الربوية كنقود سلعية لأبصر غرض النبى صلى الله عليه وسلم من المنع وهو اضفاء خاصية التجانس على كل منها حتى تتمكن من القيام بدورها كوسيط للمبادلة ومقياس للقيمة على ما يرام ؛ ولو نظر اليها كسلع سوقية وتأمل الظروف التى كانت تباع فيها وتشترى لأدرك أن المنع جاء لحماية مصالح الأكثرية التى لا تستطيع أن تميز بين الأنواع المختلفة كما وضحنا ذلك .

رابعا ــ لم يكن تحريم ربا الفضل لمجرد كونه ذريعة لربا النسيئة . ولكنه حرم لكونه ربا حقيقيا كما قال صلى الله عليه وسلم « عين الربا » أى أنه حقيقة الربا المحرم . .



للدكتور محمد زايد

اسمحوا لي أن اعترف بصعوبة ايفاء الموضـــوع حقه من الاحاطة لأسباب ثلاثة :

الأول : هو اتساع العالم الاسلامي وتعدد أجناس عنـــاصره واختلاف أوضاعهم السياسية والاجتماعية وبالتالي لتعدد المشكلات التي يواجهونها .

الثاني : هو خيبة أمل الباحث فيما يجد في متناوله من ابحاث عن بقــاع كثيرة من العالم الاسلامي يندر مثلا أن تجد بحثا عن مسلمي مدغشقر أو جزر المالديف أو جنوبي أفريقيا ، ولا بد من ســد هذه الثغرة المهمة في المـكتبة الاسلامية وتوجيه بعض الاهتمام لأطراف العالم الاســلامي ، لا حصره في وسطه .

الثالث : يتعلق بما يمكن اعتباره من المنجزات .

هذا أمر ذاتي الى حد كبير ، لأنه يستند بصورة رئيسية الى ما يعتبره المرء مقوما من مقوماته ، والى تصوره لحاضره ، ولما ينبغي أن يـكون عليه مستقبله .

وما انطلاقي في هذه المحاضرة الا من مفهومي لهويتي وهو أنني مســلم وعربي .

استضافت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الدكتور محمود زايد استاذ التاريخ الاسلامى فى الجامعة الاميركية ببيروت ، وقد ألقى سيادته محاضرتين : الاولى بعنوان « المنجزات الاسلامية فى القرن العشرين » وكانت فى قاعة المحاضرات بجامعة الكويت ، والثانية تحت عنوان : « الاسلام وتحديات القرن العشرين » وكانت باللغة الانجليزية ، وذلك فى قاعة المحاضرات بغرفة التجارة والصناعة ، وفيما يلى نص المحاضرة الاولى :

وأود أن أعترف بأننى لم اختر هذا الموضوع يقينا منى بأننى من أقدر من يوفيه حقه من البحث ، ولا يقينا بأنى موفيه حقه ، وانما اخترته بسبب ما الاحظه ويلاحظه غيرى من تركيز كثرة من الكتاب فى الشرق والغرب على تخلف المسلمين وجمود الاسلام ، بعضهم لا يزال يضرب على نغمة قصور المسلمين عن اللحاق بغيرهم من الأمم (المتقدمة) ، ويذهب البعض الآخر الى أن الاسلام لا يستطيع أن يساير الحياة ، بل ، وهناك من يذهب الى أن صلتنا بتراثنا انقطعت نهائيا ، كتب أحد هؤلاء يقول :

« من يدعو الى رفض الافكار المستوردة اليوم ، بعد مرور أكثر من قرن على النهضة وعجز جميع المصلحين عن السياحة فى غير محيط الأفكار والنظريات الغربية ، يفوه بكلام فارغ اذن ، كلام لا معنى له اطلاقا ، لأن رباطنا بالتراث الاسلامى فى واقع الامر قد انقطع نهائيا فى جميع الميادين وأن الاستمرار الثقافى يخدعنا .. » .

ولا يخفى ما فى دعاوى هؤلاء وغيرهم من افتئات على الواقع ، ومن تضليل لكثرة من الناشئة الذين لم يأخذوا من الاسلام أكثر بكثير من شرف الانتماء اليه . ولكن يجدر بنا أن ندرك كيف تكون هذا الانطباع .. ؟

أول سبب أساسى هو وقوع العالم الاسلامى فى براثن الاستعمار ، كان هذا صدمة كبيرة للمسلمين أينما كانوا ، ودفعهم هول الصدمة الى اطلاق الصرخة بعد الصرخة استنهاضا للنفوس واستثارة للهمم لمقاومة العدوان ، ولكنهم فى الوقت ذاته اظهروا من الأسف لحال المسلمين والأسى لما وصلوا اليه ما أسهم فى تكوين الانطباع السائد عن تخلف أو انحطاط المسلمين ، وأحيانا عن جمود الاسلام ذاته ، قال الشاعر الفيلسوف اقبال :

« أين حماتك يا هذه الديار ، وأين من جلجلت تكبيراتهم فى المساجد ؟ .. أسفا عليك يا ديار الاسلام التى منك انبعثت طلائع الحرية والعدالة والسلام » .

وظهر من المقالات والكتب التى حملت عناوين تنسب الانحطاط او التأخر للمسلمين ما ترك الانطباع بأن الاسلام فى انحطـــاط وتأخر وتخلف بالفعل ، ولعل أخطر ما فى هذا الانطباع هو ايهام السامع بانحطاط الاسلام بوصـــفه دينا أو بجموده ، أو بقصوره وعجزه عن مسايرة الحياة .
وقد أســـهم فى تكوين هذا الانطباع بشــــكل رئيسى تحامل كثرة من المستشرقين والمبشرين والكتاب الذين وضعوا أنفسهم فى خدمة الاستعمار ، كتب اللورد (هيلى) يقول عن الاستعمار الفرنسى :
« ومنذ البدء وجدت الادارة الفرنسية فى أفريقيا نفسها تشن حربا لتحرير الافريقيين الاصليين من سيطرة الاسلام المكافح » .
ويضيف اللورد هيلى الى هـــذا أن هذه النظـــرة السياسية الفرنســـية انعكست على أبحاث الفرنسيين عن الاسلام .
لكن يجب الا يغرب عن البال أن أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت ايضا ذات تأثير كبير على تكوين هذه النظرة .
لقد سبق لى أن بينت فى محاضرة سابقة وقبل حوالى عام واحد من هذا المكان نفسه أن العصور التى تلت القرن الحادى عشر الميـــــلادى من تاريخ الاسلام لم تكن عصور انحطاط كما هو شائع ، وعليه فنسبة الجمود والقصور الى الاسلام خاطئة من الاساس وتدل على جهل بواقع التطور التاريخى .
وأود فى هذا الحديث أن أوضح أمرين أساسيين :
الأول : هو أن المنجزات الاسلامية فى هذا القرن انجـــازات ضخمة من أى زاوية نظرنا اليها ، وبأى مقياس قسناها ومن الناحيتين العملية والنظرية .
والثانى : اننا نشهد ثورة فكرية ذات اتجاهات واضحة فى مقدمتها رفض الفكر الاوروبى الذى طالما وقعنا تحت رقاه ، واصلاح الخلل الذى أحدثه فى مؤسساتنا ، ثم الاتجاه الى منابع ثقافتنا وخاصة الدينية منها ومحاولة الخروج بأيديولوجية عربية اسلامية متكاملة ، واذا كانت هناك ثورة فكرية سلمية كبرى فى تاريخ الاسلام الحديث فهى هذه ، أى التخلص من براثن الفـــكر اللبرالى الاوروبى .

أما بالنسبة للأمر الأول :

وهو المنجزات .. فانى أضع فى مقدمتها انتشار الاسلام حتى فى الفترة التى بلغ فيها التسلط الغربى على العالم الاسلامى أوجه ، فانتشاره دون قوة سياسية تدعمه ، وفى وجه قوى تتسارع معه ، وتهدف الى زعزعة مقوماته ، هو أعظم دليل على حيويته الدافقة وتوثبه الدائم ، وجاذبية عقيدته الصافية .
هذا من ناحية ..
ومن ناحية أخرى ، فنحن مدينون لانتشاره فى اتساع رقعة العـــــالم الاسلامى اتساعا أدركنا نحن العرب مؤخرا مدى أهميتـــــه فى معركتنا مع الاستعمار ورأس حربته اسرائيل ، وأدركوا هم أيضا أهمية مشاركتهم لنا فى صراعنا الحالى ضد الصهيونية .
فمنذ أواخر القرن الثامن عشر شهدت مناطق كثيرة مدا اسلاميا جارفا أصاب المستعمرين والمبشرين بالذهول ، فقد شهدت مناطق السودان الشرقى والاوسط والغربى من القارة الافريقية نهضة اسلامية عظيمة كان رائدها الشيخ عثمان دنفديو الذى كان له الفضل فى جعل الاسلام دين شعوب بأكملها فى

السودان الاوسط وأسس الامبراطورية الفلانية وعاصمتها سوكوتو ، بعد أن بلغ ثمانية عشر عاما من عمره (١٨٧٦ ـــ ١٨٩٤) يدعـــو الى الاســـلام بين القبـــائل الافريقيـــة .

وقد تلت هذه الانطلاقة انطلاقات أخرى :

فى السودان الغربى بقيادة الحاج عمر ، وفى السودان الشرقى بفضل محمد عثمان الميرغنى ، وأشرق نور الاسلام على بقاع أخرى كثيرة مثل قفقاسيا حين نهض الضابط التركى فرح فى عام ١٧٨٢ م بتأسيس مركز فى انابا بالقرب من منفذ على البحر الاسود ليكون مركزا لنشر الاسلام بين الشراكسة . وكان هؤلاء قد بقوا حتى هذه الفترة على الوثنية فيما عدا قلة ضئيلة منهم كان أفرادها قد دخلوا فى الاسلام . تزوج هذا الضابط من شركسية وطلب من أتباعه أن يحذوا حذوه ، واستقدم علماء من القسطنطينية لتعليم الاســـلام ؛ وكانت هـــذه الحركة منطلقا لانتشار الاسلام حتى القرن العشرين .

وفى الهند ، نجد قائمة الدعاة الى الاسلام تضم الى جانب الفقهاء رجالا ونساء من جميع الطبقات ، « ونجد فى ثبت يتضمن أسماء دعاة الهنود فى صحيفة احدى جمعيات لاهور الدينية الخيرية أسماء معلمى مدارس وكتاب للحكومة .. وتجار (وفيهم أحد العمال فى عربات النقل بالجمال) ومحرر احدى الصحف ومجلد كتب وعامل فى مطبعة . فقد خصص هؤلاء الناس سـاعات فراغهم بعد انجاز عملهم اليومى للدعوة الى دينهم فى الطرقات وأسواق المدن الهندية » .

ويشيد أرنولد بالدور الكبير الذى قامت به المراة المسلمة فى هذا السبيل ، وكم يتمنى المرء أن يجد فى كتبنا المدرسية ـــ واغلبيتنا من المسلمين ـــ اســـم واحد من أولئك المصلحين الافريقيين أو اشارة الى الجنود المجهولين الذين كرسوا ما لديهم من جهد فى سبيل نشر دينهم .

ولا يقل عن هذا الانجاز تحرر الغالبية الكبرى من البلدان الاســـلامية من الاستعمار ، وغنى عن القول أن اكبر الفضل فى ذلك يعود الى الاســـلام الذى وجد فيه الغربيون معقلا يحول دون تمثل المسلم وحمله على التخلى عن مقومات تراثه ، والجزائر بلد المليون شهيد أبرز مثال على ذلك .

كما كان للاسلام والعروبة معا الفضل فى صمود المسلمين عربا وغير عرب لعملية (غسل الدماغ) التى قام بها الغرب لزعزعة مقومات الاسلام ، وذلك بازدرائه للعقل الشرقى بوجه عام ، وطعنه فى قدرته ، وبفرض مؤسساته وقوانينه وعاداته ، وبالتبشير فى دياره ، وبفرضه ثنائية التعليم وثنائية القوانين والمحاكم . وأخيرا وليس آخرا بقيامه بمحاولة بعد محاولة لاضـــعاف صلتنا بتراثنا . فأطلق أبواقه تدعو الى تبسيط قواعد اللغة العربية أو اصلاحها أو بالاثنين معا ، وحينا بالتحول الى اللهجات المحلية لغة للتدوين والتأليف ، وحينا آخر بالتحول عن الحروف العربية الى اللاتينية ، وفى الوقت ذاته أخذ يشجع الدعوات الاقليمية كالفرعونية والفينيقية وغيرهما .

وبالرغم من تحول تركيا الى الحروف اللاتينية ، واضطرار تركستان الى التحول اليها ، فان الشعوب العربية كلها وكثرة من الدول والاقليات الاسلامية وخاصة فى الهند والباكستان وشرقى أفريقيا واندونيسيا تمسكوا بالحروف العربية ، وينص الدستور الباكستانى الحالى على ضرورة تشجيع تعليم اللغة العربية .

وفى هذه الاثناء اضطلع العرب بتجديد لغتهم وذلك بتبسيط اسلوبها واغناء

مصطلحاتها وترجمة مختلف العلوم اليها ، وهذه هى المحاولة الثانية لتجديد اللغة بعد العصر العباسى .

ومن أبرز ما حققه المسلمون فى القرن العشرين هو اصلاح الخلل الذى أحدثه الاوروبيون بتشجيع ثنائية التعليم أو بفصل التعليم الحديث عن التعليم الدينى ، وبتشجيعهم ثنائية القوانين والمحاكم باحداث قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية وشرعية . وكان القصد من هذا كله كما لا يخفى حصر الاسلام فى أضيق نطاق ممكن فى المعاهد وفى حياة الشعب .

وكان أخطر ما ترتب على فصل الدراسات الدينية عن الدراسات العلمية غير الدينية اننا قطعنا الصلة بين شبابنا وبين أهم مقومات تراثهم وهو الدين . وتركناهم فى فراغ روحى شديد الى درجة أن بعضهم تخيل أن كل صلة لنا بالتراث قد انقطعت وأننا لا بد متغربون أو متأمركون أو متفرنسون أو متروسون .

ولا يقل عن هذا خطرا ما جنيناه على المتخصص بالدراسات الدينية عندما عزلناه عن أبعاد مهمة الثقافة ، فضاق أفقه ، وانعكس واقعه هذا على نظرتنا له ، وأحللناه فى معاشه منزلة دون منزلة طالب العلوم الأخرى ، وباختصار أصبناه فى عقله وفى ماله ، ونادرا ما ثار وجدان أصحاب السلطة والمثقفين ونادوا بدفع الظلم عنه ، ومما يبعث على الاسى أننا بعد هذا كله نضع مسئولية التخلف عليهم ، هذا بينما لا نلوم المهندس ولا الطبيب وغيرهما من المتخصصين بالدراسات الاخرى .

ومن آثار هذا الفصل بين الدراسات الدينية وغيرها اننا أخذنا نجرى على سنة الغرب فنقول : عالم دين وعالم دنيا ، بدلا من أن نقول : هذا مسلم متخصص بالدراسات الدينية وهذا مسلم متخصص بغيرها من الدراسات .

ووراء هذين الاصطلاحين فكرة الفصل بين الدين والدنيا وهى فكرة تتنافى بشكل مبدئى مع الاسلام .

لقد بدأت فكرة الفصل بين العلوم الدينية والدنيوية منذ أوائل احتكاكنا المباشر بالغرب وشجعها المستعمرون لأنهم أدركوا بأن أكبر عقبة فى سبيل السيطرة على المسلمين واستغلال خيراتهم هو الدين ، وعليه فلا بد من زعزعة أسسه بتحويل الشبان عنه . ولحسن الحظ أن المسلمين تنبهوا الى هذا فأخذوا منذ حوالى مائة وخمسين سنة يصلحون الخلل بالعودة الى ما انقطع من صلتنا بالتراث فى المعاهد الحديثة ، ولجأوا فى ذلك الى حلول رئيسية أربعة :

الأول : انشاء دوائر أوكليات للدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الوطنية .

والثانى : ادراج موضوعات عن الاسلام فى الجامعات كما حدث فى جامعة القاهرة والاسكندرية ودمشق والرباط وأندونيسيا وذلك فى فروع اللغات أو الأدب أو التاريخ أو القانون لكن بدون انشاء دوائر خاصة بالدراسات الاسلامية .

والثالث : انشاء أقسام للدراسات الدينية على نهج كليات الدين فى الغرب كما حدث فى عليكرة وطهران وأنقره (١٩٤٩) واستنبول (١٩٥٩) .

والرابع : هو ادخال العلوم الحديثة فى المعاهد الدينية وأبرز مثل على ذلك هو ما شهده الازهر من اضافات الى مناهجه الدراسية وكلياته منذ عام ١٩٦١ م .

ورأى أن العودة بالدراسات الدينية الى المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد على اختلاف أنواعها هى بمثابة اعادة الروح الى الأمة بأسرها وبداية انطلاقة عظيمة لعملية التجديد والبناء ولكن المسألة ليست مجرد اضافة دائرة او كلية وانما هى دمج الثقافة الدينية فى العملية التعليمية برمتها .

وأود ممن يقولون بقصور الشريعة عن مسايرة الحاضر أو يلومون الفقهاء أن يمعنوا النظر قليلا فيما تم فى حقل التشريع من انجازات كان فى مقدمتها القضاء على الازدواجية أو الثنائية فى القوانين والقضاء التى قصد بها أيضا حصر المتخصص بالعلوم الدينية . وحصر تطبيق الشريعة فى أضيق نطاقات ممكنة ، وقد جاءت هذه الازدواجية بين قوانين مدنية وشرعية ، ومحاكم مدنية ومحاكم شرعية نتيجة لخضوع البلاد الاسلامية للاجانب ، ولسهولة اقتباس القوانين الاجنبية ، وحرص علماء المسلمين على ألا يجرى العبث بأحكام الشريعة الغراء . وأوليت دراسات الحقوق فى البلاد العربية بمزيد من الاهتمام ، وفتحت لخريجيها أبواب الوظائف فى السلكين السياسى والدبلوماسى ، بينما حصر خريجو كليات الشريعة الاسلامية فى مجال ضيق ، وأصيبوا فى أرزاقهم تبعا لذلك .

وعلى الرغم من تأثر مركز الفقهاء وخريجى كليات الشريعة على هذا النحو ، فقد بذلوا هم وعدد لا يستهان به من خريجى الحقوق من أصحاب الغيرة على الاسلام جهودا كبيرة موفقة كان لها فضل كبير فى اثبات زيف ما ذهب اليه المغرضون والمتحاملون على الاسلام الذين زعموا بأن الاسلام يتصف بالجمود ولا يتسع للتجديد وانه فى حالة تجدده فانه يفقد الصبغة الاسلامية ، لقد أثبت الفقهاء من خلال ما استنبطوه من أحكام ، وبلغة سهلة وعصرية ، على أن التجديد الدائم هو فى صلب التعاليم الاسلامية . كما اثبتوا انه باستنارته بمصالح المسلمين ، وتوخيه التيسير عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، وحضه على التجديد ، وفرضه لضرورة الاجتهاد على الأقل عند بعض المذاهب كما هو الشأن عند الحنابلة .. بهذا كله أثبتوا أن الاسلام قادر على التغلب على المفاسد واقامة المصالح وان شئت قل : قادر على مواجهة التناقضات فى المجتمع ما جد منها وما سيتولد عنها .

أكدوا هذا بوجه عام وأتبعوا فى الوقت ذاته منهجية من شأنها أن تساعدهم على الاستفادة من الثروة الضخمة التى خلفها الفقهاء فى كل ناحية من نواحى التشريع .

لقد لجأوا أولا الى اصدار القوانين مع التقيد بمذهب ولكن بدون التقيد بالرأى الراجح فيه وهو ما فعله الفقهاء أيام العثمانيين فى المجلة ، ثم ما لبثوا أن لجأوا الى تخير الاحكام دون التقيد بمذهب معين وهو ما فعلوه حين أصدروا قانون الاسرة . وسار فى أثرهم الفقهاء فى مصر أيام الخديوى اسماعيل ، وفى القوانين التى تنظم شئون الاسرة والتى صدرت عام ١٩٢٠ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٩ ، استمد الفقهاء الاحكام من المذاهب الاربعة .

ولجأ الفقهاء بعد ذلك الى تلفيق الاحكام ، بل والى تلفيق الحكم الواحد كذلك ، ومال البعض الى التيسير على المسلمين بالاستناد الى المبادىء الخلقية الاساسية ، والعمل فى ضوئها على رفع الظلم عن بعض الفئات الاجتماعية .

ولم تقتصر اجراءات التغلب على الازدواجية على ميدان الاحكام فقط ، بل تعدت ذلك الى القضاء كما حدث فى مصر حين جرى توحيد المحاكم .

ولا بد لى من أن أدرج فى هذه المنجزات حقيقة مهمة وهى أن الحكام فى البلاد العربية سواء كانوا ثوريين أو غير ثوريين ، يلتقون عند نقطة أساسية ومصيرية وهى أن هويتهم عربية اسلامية وأن البناء على غيرها لا بد وأن يكون كمن يبنى فى الهواء .

وأعتقد أنهم بصفة عامة أخذوا يدركون أن الاسلام برغم كل ما رمى به من نعوت سلبية هو بناء شامخ ومتكامل لا ينال منه الزمن ، وأنه يتسع لكل اصلاح ما دام أساسه روحيا .

قال نابليون مرة بأن أعظم قوتين فى العالم هما السيف والروح ، والنصر هو فى النهاية دائما للروح ، وليس من شك فى أن سلطان الاسلام الروحى على المسلمين قد أثبت أنه لا يقهر ، وأن المسلم قد يلبس القبعة ولكن رأسه يظل مسلما .

وصلنا النقطة التى يجب أن نتساءل فيها عن الاسباب التى تكمن وراء هذا التيار القوى للتأكيد على الاسلام واتخاذه أساسا للحركات القومية ثورية وغير ثورية والغوص فى منابعه الروحية وثروته الفكرية .

ليس من شك فى أن حيوية الاسلام ، وتكامله روحا وفكرا وموازنته بين الحاجات الروحية والمادية سبب رئيسى . ولكن هناك أسباب أخرى وان كانت غير واضحة فى أذهان الكثيرين .

فى مقدمة هذه الاسباب أن افتتان المسلم بالغرب وبحضارته قد تزعزع من أساسه وأن المسلم قد أخذ يتغلب على الشعور بالنقص ازاء الغربى وحضارته .

ولهذا أسباب فى مقدمتها سببان رئيسيان :

وهما : خيبة أمل المسلم فى الفكر الليبرالى ، والفكر المادى الثورى ، جدليا كان أو غير جدلى ، فالحضارة الاوروبية القائمة على الليبرالية التى طالما وقع المسلم تحت تأثير رقاها هى نفسها تعانى من أزمات شديدة زعزعت ايمان الاوروبيين أنفسهم بها وبمستقبلها .

ولم يفت المسلم أن يلاحظ أن هذه الازمات هى فى الاساس روحية ، وأنها كما يقول مؤرخ أميركى للحضارة الغربية أنها تكمن فى : ازدواجية المقاييس الخلقية . فبينما ينشد الغربى بوصفه فردا مقياسا عاليا لسلوكه ، تتبع دولته فى علاقاتها مع غيرها مقاييس لا أخلاقية وتتبع أساليب لا تبررها أية غاية . ولقد أثار تنكر الغرب للعدالة لا ثائرة شعوب العالم الثالث فحسب ، بل وثائرة الشبان الاوروبيين أيضا . وما مرد تمرد هؤلاء الشبان على سلوك بلادهم فى حرب الفيتنام وغيرها الا مظهر من مظاهر الثورة على الظلم والقرصنة والعدوان على الحرية .

ويتتبع المسلم أخبار المجتمعات الاوروبية فيستلفت نظره أن التيار المادى الجارف وفقدان الايمان عند الاجيال الناشئة وايمانهم بنسبية الاخلاق قد دفع الكثيرين الى التوسل بالمخدرات للانعتاق من سطوة المادة وللتعبير عن نقمتهم على المجتمع واحتقارهم له .

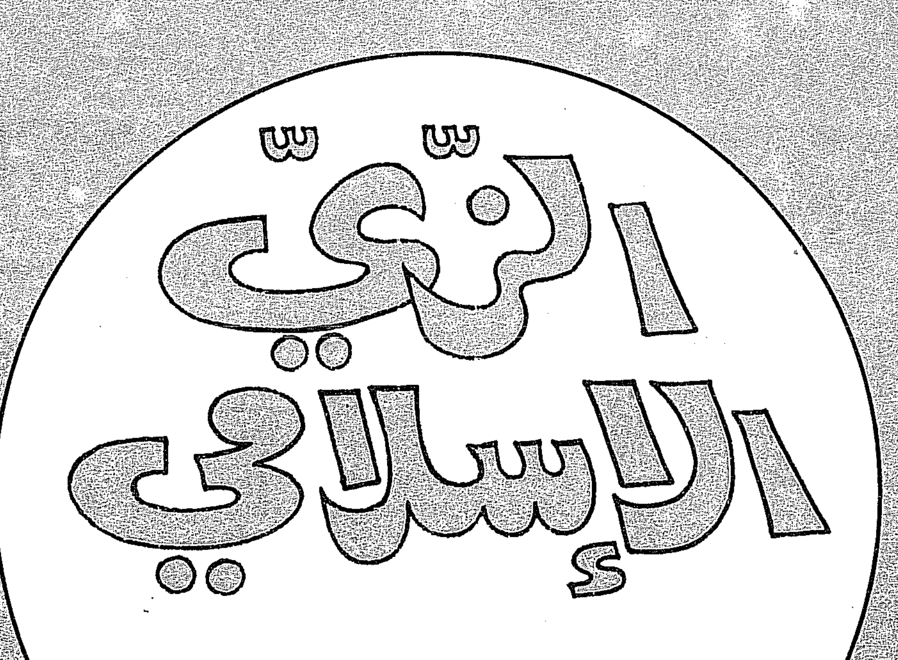
ويلاحظ المسلم كذلك أن هذه النقمة تجد متنفسا لها فى جرائم فردية وجماعية وحشية وفى الهروب من العمل ، والتمرد على النظم ، ونبذ أساليب

الحياة المألوفة ، والانعزال عن المجتمع فى الكهوف أو الشعاب أو تحت الارض .
وأهم من هذا كله أنه لم يفت المسلم أن يدرك أن الفكر اللبرالى أو المتحرر الذى ساد أوروبا فى القرن الماضي وشطر من القرن الحاضر كان نتاج ظروف خاصة بأوروبا لا ظروف انسانية عامة .
وقد يغيب عن بال كثرة من مثقفينا وكتابنا ومؤرخينا أن العلماء الغربيين الذين افتتن بأبحاثهم وعلمهم كانوا ولا يزالون يسخرون أنفسهم لخدمة أغراض تتنافى مع مقومات المسلمين وتطلعاتهم وأوضاعهم . لقد كان أولئك المثقفون الغربيون مثل كلاب الحراسة كما يقول الكاتب الوجودى الفرنسي جان بول سارتر ، يعملون فى خدمة الايديولوجيا البورجوازية ، ناصب هؤلاء المثقفون اللبراليون رجال الدين العداء ونادوا بتحرير ميادين الاقتصاد من الصبغة الدينية وذلك لاطلاق يد البورجوازية فى خيرات الشعوب . ونادوا بحرية الاقتصاد لهذا الغرض نفسه وتوصلوا الى نظريات عنصرية تثبت تفوقهم ، بل بلغ الأمر بهم حدا قام معه الاطباء النفسيون الفرنسيون بأبحاث ترمى الى تفسير تأخر الافريقيين ببنية أدمغتهم وتركيبهم الفيزيولوجى .
وكما انعتق المسلم من رقى الفكر اللبرالى أخذ كذلك ينعتق من الفكر الثورى المستورد .
ان الاختلاف بين المسلم وبين هذا الفكر أساسى وكامن فى بعد الاسلام الروحى ، ولكن فيما يخص المجتمع فليس فى الفكر الثورى شىء لا يتسع له الاسلام .
والاختلاف هو اختلاف ظاهرى فحسب اللهم الا فيما يتعارض مع أى حكم اسلامى قاطع .
وبعد ، ماذا نستخلص من هذا .. ؟

أولا : أن سيطرة الاسلام الروحية على المسلمين أقوى من أن تزعزعها النكسات والغزو الفكرى وأن حيويته الدافقة كانت حتى فى أوج التسلط الاوروبى كفيلة بانطلاقه وانتشاره .

ثانيا : أن فى العالم الاسلامى كله نزعة شديدة الى اصلاح الخلل الذى تم فى المؤسسات أيام الاستعمار والعودة بها الى سابق عهدها مع تجديدها . وأوضح ما يكون هذا فى التعليم والتشريع .

ثالثا : أن عهد الافتتان بالغرب وحضارته قد قارب على الانتهاء ، وأنه بدأ يرفض الفكر اللبرالى الاوروبى الذى وضع نفسه فى خدمة البورجوازية والاستعمار والفكر الثورى المادى .
وأن فى هذا شبها بما تم فى العصر العباسى من رفض لما لا يتفق مع الاسلام من الحضارات الاخرى .



الزي الإسلامي

للدكتور أحمد الحجى الكردى

قد يكون هذا الموضـــوع غريبا لأول وهلة إذ يقول بعض القارئين ما علاقة الاسلام بالزى ، وهل له فيه حكم ؟ أليس الاسلام دين الحرية والانطـــلاق من القيود ؟

لكن الجواب علىذلك واضح ولا يحتـــاج الى غوص وتعمق ، فالاسلام حقا دين الحرية الى غايتها ونهايتها ، الحرية غير المحـــدودة إلا بحدودها هى نفسها . فالاسلام كفل الحرية للناس جميعا لا فرق فى ذلك بين رجل وامرأة ، ولا بين عربى وغير عربى، أو بين غنى وفقير ، أو كبير وصغير .. والحرية ملك الجميع بقدر متساو بينهم وهى حق لهم جميعا ، لكن هذه الحريات لا بد وأن يتماس بعضها مع بعض فى خطوط تماس تشكل الفاصل بينها المحدد لحدودها ، فحرية الانسان لا بد وأن تنتهى عند نقطة انتهاء حرية غيره فى موقع التماس والا كان الاعتداء على حـــرية الآخرين وهذا ما لا يرضى به الاسلام لما فيه من الظلم الذى جاء هو لتغييره ورفعه .

وبذلك تكون الحرية قد حدت نفسها بنفسها حفاظا على كيانها وجوهرها ، دون ان يكون للاسلام فى هذا شىء غير بيان هذه الحدود التى تضمن للجميع قدرا متساويا من الحرية .

وانطلاقا من هذا المبدأ الاسلامى العام فى تكريم الحرية وصيانتها والحيلولة دون اعتداء بعض الناس على بعض فان الاسلام يقرر ان للمسلم أن يتخذ الزى الذى يراه ويناسبه دونما قيد او شرط الا ان يكون فى ذلك اعتداء على حرية الآخرين ، فاذا كان فى هذا الزى اعتداء على حرية احد فانه يعتبر ممنوعا صونا لحرية الآخرين التى يحرص الاسلام عليها ، ولا غرابة فان فى بعض انواع الزى ملبسا كان او غيره تعديا على الكثير من حريات الآخرين فى اخلاقهم وسلوكهم وتربية اولادهم وغير ذلك .

فلكل امرىء الحق بل هو مسؤول عن حفظ اخلاقه واخلاق من يعوله ويلى عليه من الجنوح والانحراف بل هو مسؤول عن أخلاق المجتمع الاسلامى كله ، وفى بعض انواع الزى استهتار بهذه الأخلاق ، ودعوة الى ما يجافيها مما يحول بين المسلم وبين ما يتطلع اليه من مستوى اخلاقى رفيع دعا الاسلام اليه .

وجمعا بين المبداين ، مبدا صون الحريات وحمايتها ، ومبدأ عدم اعتداء بعضها على بعض فقد ابان الاسلام عن بعض القيود فى الملبس التى يعتبر فى تجاوزها اعتداء على حريات الآخرين .

واهم هـذه القيود :

١ ــ ان لا يكون اللباس كاشفا للعورة أو لجزء منها ، وعورة الرجل هى من السرة الى الركبة ، أما عورة المرأة الحرة فهى جميع بدنها الا الوجه والكفين والقدمين فى قول جمهور الفقهاء .

وعلى ذلك فان أى لباس ينكشف معه فخذ الرجل أو بطنه ، أو ينكشف معه شعر المرأة او ساعدها او ساقها ، أو غير ذلك يعتبر لباسا ممنوعا محرما لما فى ذلك من دعوة ضمنية الى الرذيلة

والتحلل الخلقي الذي لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم وأخلاق أسرهم وأبناء مجتمعهم ، وفي ذلك اعتداء كبير على أسمى ما تكفله الحرية لكل انسان من المبادىء وهو مبدأ حرية العيش في مستوى أخلاقي رفيع .

ولا يجوز أن يقال بحال : ليغلق الانسان على نفسه الباب ولا يتعرض للآخرين ، ولا يأبه بهم ولن يناله بعد ذلك منهم اى أذى . ذلك أن الحياة العامة ملك مشترك بين الجميع ، ولا يستطيع أى انسان أن يمنع الآخرين من ولوجها ، وعلى جميع المسلمين أن يكفوا عن أى عمل يلحق أذى بالآخرين فيها ماديا كان ذلك الأذى أو معنويا . الا ترون أنه لا يقال لولى من قتلته سيارة فى شارع عام « لو كان هذا القتيل فى بيته لما قتلته السيارة وبالتالى لا مسؤولية على القاتل » واذا ما قيل ذلك اعتبر شذوذا مردودا على صاحبه ، لأن الشارع العام ملك لكل الناس ، وعلى كل الناس أن يبتعدوا عن ايذاء بعضهم فيه . فكذلك اللباس لا يجوز أن تتعدى فيه الحدود التى يلحق منها ضرر بالآخرين ، مثله مثل السيارة تماما لا فارق بينهما الا من حيث أن ضرر السيارة مادى وهذا ضرره معنوى ، وهو فارق غير مؤثر هنا .

بل ان النظرة المستهترة يلقى بها الرجل الى امرأة فى الشارع ، أو تلقى بها المرأة الى الرجل فيه تعتبر أمرا ممنوعا شرعا بنص كتاب الله تعالى حيث يقول : ((**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**)) ويقول : ((**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن**)) لما فى ذلك من اعتداء على حرية الآخرين فى السير فى الشارع العام فى أمان وسلام بعيدا عن الفساد ومسبباته .

٢ — أن لا يكون اللباس شفافا يشف عن العورة تحته ، لأن الشفافية هذه مثل الكشف تماما ان لم تكن أشد منه اغراء ودعوة الى الفساد ، ولأن الثوب الشفاف لا يعد ساترا ، والله سبحانه ورسوله قد أمرانا بالاستتار ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال (صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر

يضربون بها الناس ، ونســاء كاسيات عــاريات . مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) رواه مسلم .

٣ ــ ان لا يكون اللباس ضيقا يشكل حجم العورة تحته ، كالسروال الضيق الذى يشكل حجم الفخذ والمعطف الضيق الأكمــام الذى يشــكل حجم الساعدين بالنسبة للمرأة ، وكذلك الثوب الضــيق الذى يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة .. وغير ذلك . لأن فى هذا كله نوع اغراء وإيذاء ونيــلا من حرية الآخرين فى المحافظة على أخلاقهم وعفافهم ، ولأن فيه نوع كشف للعورة بالجملة .

٤ ــ ان لا يكون فى اللباس نوع خيلاء وكبر واسراف ، لأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ نهى عن ذلك ، والقرآن الكريم جاء بتحريمه أيضا ، فقال تعالى : ((**ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخــرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**)) ، وقال جل شأنه : ((**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**)) . وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة) رواه البخارى . ولم لا فان فى التكبر اعتداء على مبدأ المساواة التى قررها الله تعــالى ترسيخا لمبدأ الحرية ، ثم ان الاسراف داء اذا انتشر وباؤه بين افراد الأمة الحقَ بها الخراب والدمار وهو ما لا يرضى به الاسلام .

٥ ــ ان لا يكــون اللبــاس زيا خاصــا لغير المسلمين ، فاذا كان كذلك كان فى ارتدائه تشــبه بهم قد يجــر الى تقمص شخصيتهم والتخــلى عن الشخصية الاسلامية بكل مقوماتها شيئا فشيئا ، وفى هذا من الخطر على الأمة ما فيه ، وهــل كان أول ضعفنا الا التخلى عن تقاليدنا واستيراد تقاليد غريبة عنا فى الملبس والمسكن .. (من تشبه بقوم فهو منهــم) .

وهذه أمم الأرض كلها تحـافظ على تاريخهـا وتقاليدها بما فى ذلك أرقى الأمم ، ونظرة عجـلى الى هذه الأمم من أقاصى الصين الى أواخر أوروبا كافية لوضع النقاط على الحروف فى ذلك ، فما بال بعضنا يستسيغ التخلى عن هذه التقاليد غير آبه بما يترتب على ذلك من أفدح الأضرار .

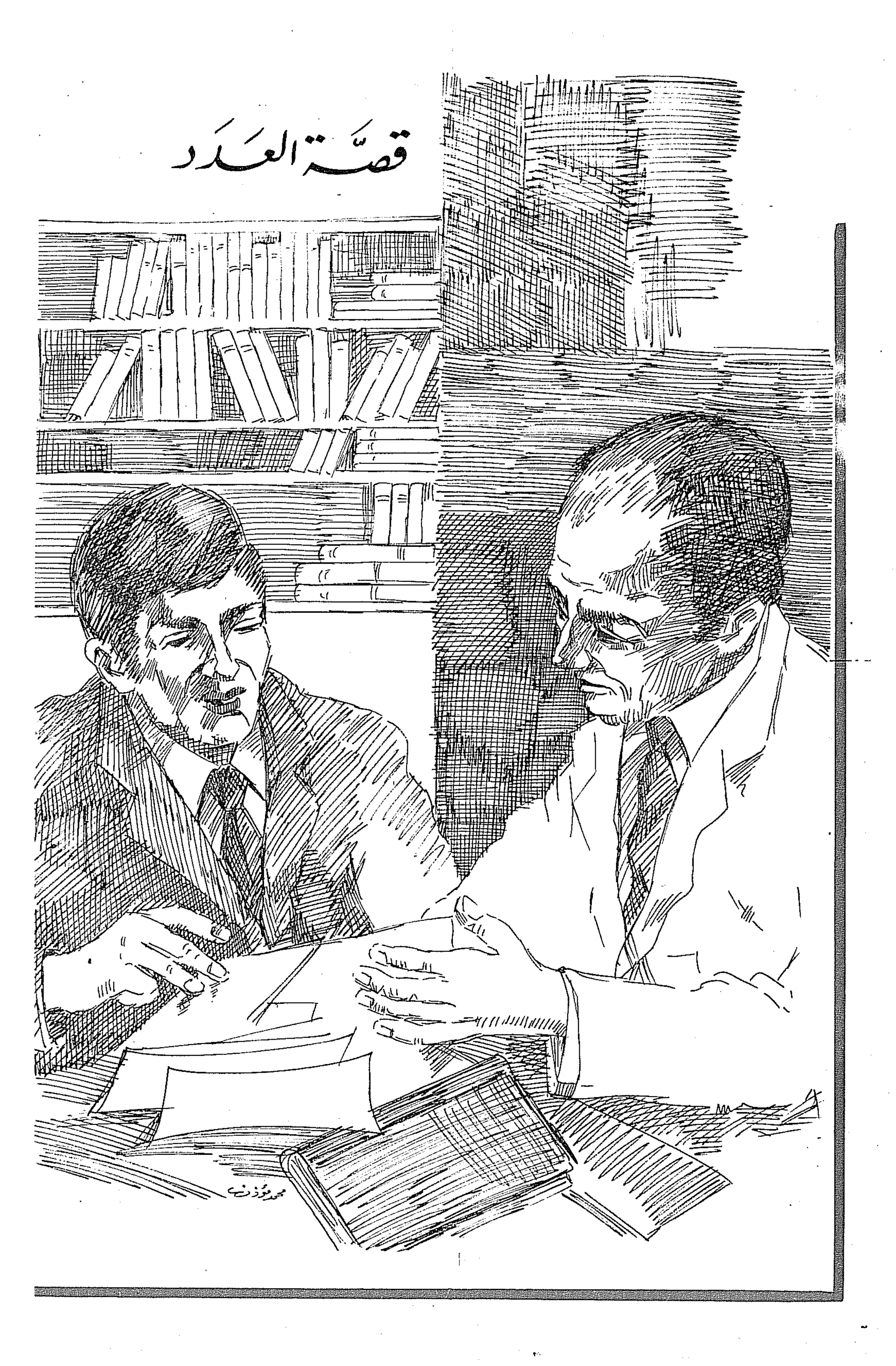
ولكن ليتنبه هنا الى أن ذلك لا يعنى بحال أن نصم آذاننا عن كل جديد ، فان الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدهـا التقطها ، بل يعنى أن نفتـح آذاننا وعيوننا وكل حواسنا جيدا عندما نقع على أى جديد فنقيسه بعقولنا ونزنه بمبادىء اسلامنا ، ثم بعد ذلك لنقرر أخذه أو تركه ، فاذا أخذناه فلنحاول أن نصبغه بصبغتنا الخاصة قطعا لمعنى التبعية فيه ، فقد ثبت عن النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنه أمر أصحابه الأبرار مرة بصوم يوم عاشوراء ، فقـالوا له : يا رسول الله هذا يوافق صوم اليهود ـــ لأنهم يعلمون أنه لا يحب الأخذ عن أحد من غير المسلمين ـــ فأجابهم بقوله : نحن أحق بموسى منهم ، نغيره فان جاء العام القابل نصوم معه يوما قبله أو يوما بعده . (أو كما قال) ، وقد ثبت عنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنه قال لأصحابه مرة أيضا (إن اليهود والنصـارى لا يصبغون ـــ أىشيب شعرهم ـــ فخالفوهم) متفق عليه . والرسول ـــ عليه الصلاة والسـلام ـــ هو قائدنا ومعلمنا وهو الأسوة الحسنة فينا .

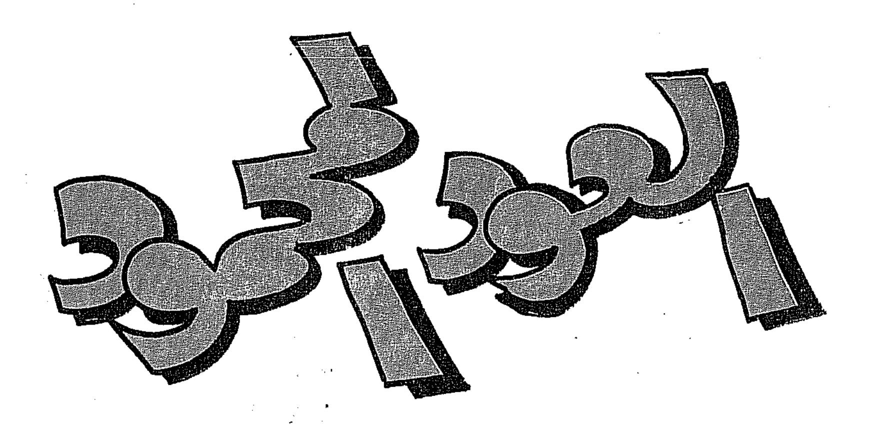
٦ ـــ أن لا يكون فى لباس الرجل ما يشـــبه لباس المرأة ، ولا فى لباس المرأة ما يشبه لباس الرجل وذلك لنهى النبى ـــ صلى الله عليـه وسلم ـــ عن ذلك ، فقد روى عن ابن عبـاس انه قال : (لعن رسـول الله المتشـبهين من الرجـال بالنسـاء ، والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخارى ، وقد روى أبو هريرة أيضا : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ الرجل يلبس لبسة المـرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

ذلك أن الله تعالى خلق الناس من ذكر وانثى وأودع فى كل منهما من الصفات ما يجعله أهلا لتحمل مسؤولياته الخاصة به فى هذه الحياة ، وفى ارتداء اى منهما لباس الآخر تغيير لنفسه ومشاعره مما يعوقه عن القيام بالأعباء الحياتية التى خلقه الله تعالى لها . فيكون بذلك مفوتا على الأمة فردا نافعا طالما عملت على اعداده والعناية به ، ذلك أن لطريقة الانسان فى ملبسه ومأكله ومسكنه وحديثه .. اثرا فى نفسه وسلوكه ، هذا ما يراه ويشهد به العلماء المتخصصون فى الدراسات النفسية والاجتماعية بصرف النظر عن عظم أو صغر ذلك الأثر .

هذه هى اهم صفات وملامح الزى الاسلامى ما يتعلق منها بالملبس للرجل والمرأة ، رأينا كيف سلك الاسلام بها مسلك الأخذ بالحرية المقيدة بما يحفظ حرية الآخرين فى أمورهم المادية والمعنوية وكلى رجاء أن يتفهمها شبابنا وشاباتنا ويدركوا مغزاها العميق ويلتزموا بها محافظة منهم على استقلاليتهم وبعدا بهم عن التسكع على موائد أزياء الأجانب التى تأتينا كل يوم بجديد ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، يحمل فى طياته كل ما يكفى للقضاء على أخلاقنا وصمودنا ومثلنا ، وهو ما لم تستطع فعله سيوف الصليبيين وحروبهم التى امتدت قرونا .. **((فهل من مدكر ؟))** .

قصة العدد





للاستاذ / محمد رشدى عبيد

حجرة صغيرة ضمت رفيقين جمعهما طلب العلم فى ديار الغربة اما احدهما ، وهو حسن فكان رضى النفس ، جم الأدب ، حلو الحديث ، حسن المعاملة ، لطيف المعاشرة ، مؤمنا بالله تعالى اعمق ايمان واصدقه مواظبا على العبادات يؤديها بخشوع وشوق ، وكان يملك اضافة الى علمه الدينى ، ثقافة عصرية ، واطلاعا على العلوم الحديثة ، يتابع ما جد من اخبارها ، وما اكتشف من أسرارها ، ليزداد ايمانا الى ايمانه .

لقد وزع أوقات فراغه بين العبادة والتأمل ، وبين المطالعة ، ولقد كانت مطالعاته تشمل كل كتاب يعرض تيارا فكريا مستحدثا ولو لم يرقه ، وكل لون من الوان الثقافة ولو تضاد مع ما وقر عليه قلبه ، واشتملت عليه نفسه ، فأما غايته من الاطلاع على النظم والآراء البشرية المستحدثة بعيدة عن هدى الله فهى معرفة عمق المنحدر السحيق الذى هوى اليه الفكر الانسانى ليقدر قيمة موقفه الفكرى السامق ، لقد كان ينظر الى ضحالة المستنقع الوبىء ، ليتذوق عذوبة النبع الذى ورده ، ويرتوى من منهله الصافى حتى ينتشى ... استطاع الاستاذ حسن كما كان يلقبه زملاؤه بسيماه الذى تعلوه الهيبة ، ووجهه الروحانى المشع وحديثه الآسر ، ان يسيطر على القلوب ويجتذب اليه النفوس ، وما اكثر الشاردين الذين اعادهم الى حظيرة الحق ، حيث الروح .. والحياة الايمانية ، حيث سلامة التصور ونظافة القلب .. واطمئنان النفس وراحة الضمير .

اما رفيقه (سعيد) فكان بالرغم من رقة حاشيته ، وظرفه ، وبشاشته البادية على وجهه المستدير يبدو في أحاديثه وآرائه ، وكأنه يحمل اتجاها فكريا مناقضا لاتجاه صاحبه ، وكان الاستاذ (حسن) يملك موهبة غريبة في معرفة الحالة النفسية التي يتصف بها كل من يقابله ويحادثه وذلك من خلال التدقيق والتفرس في سيماوجوههم وحركاتهم والمواضيع التي يودون مباحثتها معه ، ولهذا فقد ساورته شكوك في ان رفيقه (سعيد) يعاني من آلام نفسية تضطرم نيرانها بين جنبيه بالرغم من اجتهاده في اخفائها عن صاحبه وكافة زملائه ، ثم يتيقن الاستاذ بان تهلل اسارير سعيد ، ودعاباته الكثيرة ، ما هي الا طلاء لامع لنفس متألمة منهدة البنيان ، وان مرحه المصطنع ما هو الا ستار يخفي تحته القلق الذي يعانيه ، وذلك حين رجع الى البيت في يوم مشهود ، وما أن اقترب من الباب حتى سمع من داخل الحجرة انينا تحول الى بكاء مر .. استولت الدهشة على الاستاذ حسن وردد مع نفسه : الله .. انه سعيد ... ولكن ماذا أصابه ؟ .. ما الذي احدث هذا الانقلاب المباغت في شعوره .. ؟ وبادر الى طرق الباب طرقات قوية متتالية على غير عادته ـ كانت تعبر عن اللهفة والقلق اللذين يعتملان في صدره اشفاقا على رفيقه . نهض (سعيد) بخطى متثاقلة ، وجفف من دموعه المنسابة على خديه ، ثم فتح باب الحجرة .. دخل الاستاذ وأغلق الباب وراءه برفق ودون أن يحول نظراته المستغربة عن وجه رفيقه ، كانت ملامح سعيد لا تزال تنطق بالأسى ، وتعبر عن ما يجيش في صدره من انفعالات حبيسة ، ولم يكن الأستاذ حسن قد أخذ مقعده من الأرض حين بادره الى السؤال عن سبب بكاء رفيقه ، قال :

ـ اخي ، لماذا كنت تبكي ؟ لقد كان عهدي بك أن أراك جذلانا ، تملأ جو الغرفة غناء ، ولا تكف عن دعاباتك الحلوة .. !!

اجاب سعيد بصوت ملؤه الشجن : انا لم يصبني يا اخي أي عارض ، وانا لست الا ذلك المرح ، ولكن لأصارحك : انى أحس بإحساسات اليمة تدمر كياني ، وتهد من قواي ، وتذيقني مر العذاب .. كما أني لا اشعر بالراحة الا اذا بكيت .. وليست هذه هي المرة الأولى التي أبكي فيها ، بل أنني قد لجأت الى الوسيلة كلما انتابتني تلك المشاعر لاخفف من حدتها ، وأطفىء نيرانها المستعرة التي تلهب وجداني ، ولكني أجتهدت أن أخفي عنك بكائي ، كي لا اقلق راحتك ، وأنغص سعادتك .

الأستاذ مستغربا : وما نوع تلك الأحاسيس التي تعاني منها الى هذه الدرجة .. انك تعيش كما تحب وتهوى .. لا ينقصك المال .. أما الشهرة فأنت في طريقك اليها .. أو هي في طريقها اليك ، ثم انك لا تمنع عن نفسك أية شهوة ، ولا تكبت أية رغبة أو نزوة ، لانك لا تعترف بوجود رقابة خارجية عليك ، ولا تبالي بأعراف المجتمع أو مبادىء الأخلاق ، الست تدعي بأن الانسان وجود مستقل فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الوجود ، وبحرية كاملة ، وبدون قيود أو حدود ؟ أليس الألم الذي تعاني منه قيدا يشل الطاقة الإنسانية ويحد النشاط البشري ، فلماذا لا تحرر نفسك من عقابيله ؟ !

اجاب سعيد بصوت يائس : أخي حسن لو كانت تلك الآلام والمشاعر قيودا خارجية لتحررت منها ، ورميتها بعيدا عني ، ولكنها تنبع من أعماق قلبي

وصميم وجداني ، ولهذا فلا سبيل لي الى ازالتها ، ثم أردف بعد تنهدة عميقة : إني لا أرى نور الأمل في انكشاف مصابي ، وباعتقادي أن مأساتي سترافقني الى القبر ، ثم سأل مستعطفا :

— هل تسمح لي أن أسرد لك قصتي بشيء من التفصيل ، عسى أن اجد عندك الحل المرتجى لمشكلتي أو اشعر بدفء اليقين في رحاب قلبك الكبير الذي وسع آلام كثير من الناس وآمالهم ، وان لم يكن ذلك فقد احس ببعض الارتياح ، واتذوق حظا من الانشراح عندما أجدك تشاركني آلامي وتسري عني بعض ما اعاني .. ؟

الأستاذ : سأكون سعيدا اذا ما استطعت أن أقدم لك العون الذي تبغيه .. اننا معاشر المؤمنين نتقرب الى الله بتفريج كروب المصابين ، وادخـــال العزاء والسلوى الى قلوب المنكوبين ، ومسح الدموع المتحدرة من عيــون البائسين ، وأضاءة أسرجة الأمل في أفئدة القانطين ، قل اسمع ، ولا تخف عني شيئا من جوانب المشكلة وأسرارها ومواردها ومصادرها عسى أن يوفقني الله تعالى لحلها .. !!

سعيد : أخي لقد نشأت في أسرة لا تؤمن الا بالعلم المادي ، ولا توقن بوجود شيء لا تقع عليه الحواس ، ان والدي يرفض وجود عالم الغيب ، انه يعتقد بان المصادفة هي التي خلقت الكون ، وان الانسان انما أصله حيوان بلغ هذه الدرجة من التطور والرقي بفعل عوامل الطبيعة ومتطلبات البيئة ، وهو يرى في هذه الحياة الفرصة الوحيدة التي يملكها الانسان ثم يصير الى العدم ، ولهذا فانه ينتهب اللذات نهبا ، لا يبالي بدين أو خلق أو عرف ، وقد نشأني على ما يعتقده ، وانسجمت مع هذه الأفكار ردحا من الزمن ، الا أن صوتا ما بدأ ينبعث من أعماق فؤادي ، لقد بدأ خافتا خفيضا ، لكنه لم يزل يعلو ويعـلو وزادت الأوقات التي ينبعث فيها ، حتى أنه أخذ يكدر صفو أوقاتي ، ويحرمني التمتع المطمئن بملذاتي ، ولا يزال يطرق فكري بتساؤلاته !

الأستاذ : وماذا يقول ذلك الصوت ... ؟

سعيد : أنه يقول : ان خالقا قد خلقك ، وخلق كل هذه العوالم البديعة ، ووضع فيها القوانين والنواميس الثابتة .. انه مصدر كل هذا التناسق والجمال والابداع في المخلوقات .. كل مظاهر الوجود ونواميسه تدل على عظمته ، وحكمته ، وعدله ، ورحمته !!

تهلل وجه الأستاذ حسن فرحا وسرورا ، وشعر بسعادة غامرة ثم قال بلهجة الواثق من نفسه :

— انه صوت الايمان المحبوس .. انه نداء الفطرة التي استيقظت من غفوتها .. يأبى الله الا أن يتم نوره ، ويبين الآيات الدالة على وجوده في الأنفس والآفاق .. انه ... موجود .. قاطعه سعيد بلطف قائلا :

— أخي أما وجوده فقد توصلت اليه بعد تجربة مريرة .. انه يتجلى في كل شيء ، كل مظاهر العظمة والجمال توصل اليه ، الجبال السامقة التي تبهر الأنفاس ، الوديان العميقة التي تدهش المتطلعين ، أصوات الطيــور الشجية ، انغام مظاهر الطبيعة المتناسقة جمال الطفولة وبراءتها المؤنسة ، عبق الأزهار وأريجها العاطر ، جمال الفجر الوليد ، حمرة الشفق وقت الأصيل ، همسات الأطياف السارية في الليل ... أين المصادفة العمياء من كل هذا الجمال ، بل هو الله ... ولكن !!

الأستاذ : لكن ماذا يا أخي .. ؟

سعيد : ان هناك تناقضات تعتمل في فكري ، أشعر معها بعبثية الحياة، وانعدام الحكمة في بعض حوادثها بل اني لأشعر بالظلم البين في بعض وقائعها ، اني لأتساءل : لماذا يموت أحبائي وذوو قرباي ثم سأتبعهم أنا في الطريق اللاحب الممتد ؟ أيعقل أن تنتهي بالموت حياة هذا الإنسان الذي لا يتشوق لشيء كما يتشوق للخلود ، ولا يحب أمرا كما يحب البقاء والامتداد ؟ ما علة اختلاف الناس في الحظوظ الدنيوية التي وهبوها ؟ ما الحكمة من وجود الشر والمرض والألم ؟ هل من المعقول أن يستعلي الباطل ، ويضام أهل الخير ويسام الضعفاء الخسف ، ثم يذهب الكل ولا حساب ! ؟ انه ليقض مضجعي تمزق الأواصر بين الأفراد ، واضطرام نار البغض بين الطبقات ، وتفكك الروابط بين الشعوب ... لقد فقدت السلام النفس .. لقد ضقت بمشاعري هذه .. إني اريد أن أعيش عيشة سعيدة ولهذا فإني أغرق مشاعري طورا في الملذات ، وطورا الجأ الي وسائل التخدير والتعمية .. فقط لكي انسي نفسي .. ولكن بدون جدوى يا أخي .. لقد تعبت في الهرب والأختفاء وأسلمت قيادي للألم !

الأستاذ حسن : مهلا يا أخي ، اما الحقيقة الكبرى فقد توصلت اليها واما تلك التناقضات التي تعتمل في أفكارك فهي نفسها سوف تتمخض عن الايمان الوليد .. بل هي تباشير فجر العقيدة التي سوف تطمئن روحك المعذبة وتقر نفسك القلقة . وكانت علائم التطلع والأهتمام قد بدت ظاهرة على وجه سعيد .. ما أشد حاجته الى النور .. ما أعظم حاجته الى الزاد الروحي الذي حرم منه سنين طويلة !! واستطرد الأستاذ يقول :

— فأما وقد توصلت الى وجوده ، فما عليك الا ان توثق صلتك به ليمدك بالهدى واليقين ، ويمنحك سلامة الادراك ، وصفاء الفكر ، وراحة البال ، واطمئنان الضمير اتعرف عليه من خلال كتابه الأخير للأنسانية (القرآن) الكتاب الذي لم تبل جدته السنون ، النبع الذي يفيض بالخير والنور ، انه وصفة ناجحة لجميع أمراض النفس والفكر والقلب ، فاذا ما حسنت صلتك بكتابه ، فقد حسنت صلتك به ، واذا ما تم ذلك فسيكون لك ربك السند المتين في المحن ، سيملأ نفسك رضي ، ويشرح صدرك أملا .. ثم أردف :

— سأحل لك كل المشاكل في ضوء القرآن بإذن الله ، فاسمع .

— نعم ..

— فأما رغبة الامتداد في الانسان ونزعة البقاء والخلود في نفسه فان كتاب الله سبحانه لم يهملها ، بل انه قد جعل الحياة في الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية التي سوف يحياها الأنسان ليكمل وجوده الناقص على الأرض ، وليشبع حاجته الى الخلود ، ويطمئنه على مصيره بعد الموت ، فما الموت الذي ترهبه الا معبر من حياة زائلة الى حياة باقية ، أو من قاعة امتحان الى حيث الدار التي تستعصى على الفناء وترفض العدم ، هناك يثاب المحسن ، ويعاقب المسيء ، وينال المؤمنون جزاء اتعابهم وتضحياتهم كاملة غير منقوصة ، وهناك ينتصف للمظلومين ممن ظلمهم ، ويدخل الطغاة والمتجبرون اشد العذاب . اسمع قوله تعالى ((**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . لا ظلم اليوم**)) .

فقر عينا وطب نفسا يا صاحبى اذا ما نزل الموت ، أو قربت أيامه فان الجنة قد تزينت وتجملت للقاء عباد الله الصالحين ، فاجتهد أن تكون منهم ، ولا عليك اذا من القدر المحتم اذا ما اتبعت الهدى وقصد السبيل ... هاك البشارة الالهية : « **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** » .

سعيد : اذن فالدنيا دار بلاء وليست دار جزاء ووفاء .

الأستاذ : نعم . ولهذا فان الله سبحانه وتعالى لا يقيد ارادة البشر الحرة ، بل يدعهم وما يعملون حتى حين ، فهو إمهال وليس إهمالا ، والكل منظرون ليوم لا ريب فيه ! اسمع قوله تعالى : « **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** » .

سعيد : فما هى علة اختلاف الناس فى الحظوظ الدنيوية التى وهبوها ؟

الأستاذ : هناك نقطتان أحب بيانهما في هذه الشبهة التى تتردد فى صدرك ، أولاهما ... انه يجب تطبيق الشريعة الالهية فى المجتمع الذى يجب أن يصل او يصل اكثر افراده الى المستوى الذى ينسجم ويصلح ويتقبل المبادىء الاسلامية ، تلك الشريعة التى تعطى كل ذى حق حقه ، وتعدل كل العدل فى توزيع الخيرات والمنجزات ، وتضمن حقوق جميع الأفراد والطبقات ، ولكن حتى عند قيام ذلك المجتمع الصالح ، المتكافل ، المتساند ، فان التفاضل فى الرزق لا ينعدم ، ويبقى الاختلاف فى مقدار الحظوظ الممتلكة ، والطيبات المنالة والجاه المحرز ، تلك سنة من سنن الله لم تتبدل ولن تتبدل قال تعالى « **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له** » ولكن سنثوب الى حكمة الله العليا مرة أخرى ونستشف طرفا منها فنقول : ان الله تعالى يبتلى عباده بالخير والشر : « **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** » وذلك ليعلم مدى صبرهم ، ودرجة شكرهم ، وصلابة ايمانهم ، ان هناك بعض النفوس يطغيها الخير ، وبعضها يقسيها النعيم ، فتنسى الله وتحرم ذواتها من نعيم الآخرة ، ولهذا يتفضل الله تعالى على كل طائفة بقدر من متاع الدنيا يلائم حالتها ، ويناسب طبيعتها ، حتى لا تضل ولا تشقى .

كما أنه لا بد من وجود الاختلاف فى الثروة بين النشيط الدؤوب ، والمتعطل الكسول ... بين المقتصد فى انفاقه وصرفه ، والمسرف المبذر الذى ينفق ماله بغير حساب فيما ينفع ولا ينفع ... بين من جعل الآخرة أكبر همه فهو يقدم من ماله مهرا سخيا للجنة التى جعلها نصب عينيه ، والمقتر الذى لا يكاد يؤدى الحق المفروض فى حاله للسائل والمحروم .

سعيد : ولكن ما الحكمة من ابتلاء الله لأحبائه بالأمراض والآلام والمصائب بينما اعداؤه يسرحون ويمرحون فى الدنيا ، يتمتعون بطيبات الحياة ، لا يبالون بدين ولا يلتزمون بحد من حدود الله ؟

الأستاذ : أما احباؤه فانه يبتليهم ليكشف صدق دعواهم ، ويتحقق من نواياهم وهو أعلم بها ، ثم ان هذه الآلام والمحن التى تصيب المؤمنين لهى خير مفجر لينابيع الرحمة التى تفيض من قلوبهم على عباد الله المحرومين ، وهى اجدى وسيلة لتقوية اتصالهم بربهم ، وتحسين علاقتهم به وتخليص قلوبهم من التوجه لغير الله والتعلق بعرض من الأعراض الفانية ، انها اضافة الـى ذلك سلسلة من التمرينات المتعبة التى تؤهل المتقين لدخول جنة الله الخالدة التى لا يستحق دخولها الا من طهرت نفسه ، وعظم صبره ، وهانت عنـده التضحيات . أما أعداؤه الذين انحصرت هممهم فى نيل ثواب الدنيا ، وضاقت آمالهم فلم تتعد حدود الارض ، فلا بأس بالتفضل عليهـم بشىء من النعيم الظاهرى الذى يتقلبون فيه .

سعيد : وماذا تقصد بظاهر النعيم .. ؟

الأستاذ : اقصد ان النعيم الحقيقى حتى في هذه الدنيا ليس في زينة الحياة وزخارفها . بل ان سعادة النفس ، وراحة الروح ، وطمأنينة الضمير لهى من أعلى اللذات وأدومها . ان كثيراً من المؤمنين يعيشون فى حرمان من لذات الدنيا ولكنهم سعداء اكثر من أصحاب المال والجاه والنعيم وكما قال تعالى : « **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان ربك محظـورا** » ولكن سوف يقال يوم القيامة للكافرين : « **اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون** » . أما المؤمنون فينالون جزاءهم الأوفى فى ذلك اليوم .

انك تنظر الى جزء من قصة الحياة الانسانية وهى الحياة على الأرض .. لكن القصة لم تكمل بعد فلا يضق صدرك ، ولا تذهب نفسك حسرة ، أن الناقد الأدبى ليحكم بتراجيدية القصة اذا كانت نهايتها مؤلمة وغير عادلة .. لكننا لم نر نهاية قصة الوجود .. فهذا المصاب الذى تشفق عليه الآن ، وتتأثر لحاله ، قد تتمنى ان تكون فى محله فى الآخرة ، وانما العبرة بالخواتيم .

سعيد : فما هى الحكمة من اختلاف المؤمنين فى عظم المصاب . ومقدار البلاء ؟

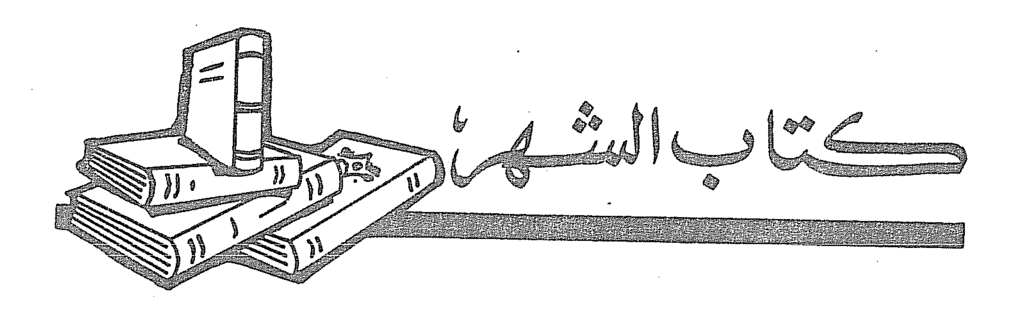
الأستاذ : ان عظم المصاب يتوقف على ايمان الشخص ، فكلما كـان ايمانه راسخا زيد بلاؤه ليمس نفسه ، ويتأثر به كيانه ، وتدفعه شدة معاناته الى الاستنجاد بقوة الله والاسترشاد بهديه ، والتضرع على عتبـة بابه ، والتبرؤ من الحول والقوة الانسانية والالتجاء المطلق الى الله تعالى ، والتعرف على ضعف نفسه ، حتى لا يأخذه الغرور بسلطانه ، ويستغنى بقوة نفسه عن الاحتماء بقوة الله ، اما من ضعف إيمانه أووهنت نفسه ، فيبتلى بالقدر الذى تتحمله نفسه ، ويثبت له ايمانه . ولهذا ورد فى الحديث الشريف « أشـد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قـدر دينه » ولهذا فقد يتألم الانسان لشخص ما أصابه بلاء شديد فى نظره وهو يستغرب فى تحمله

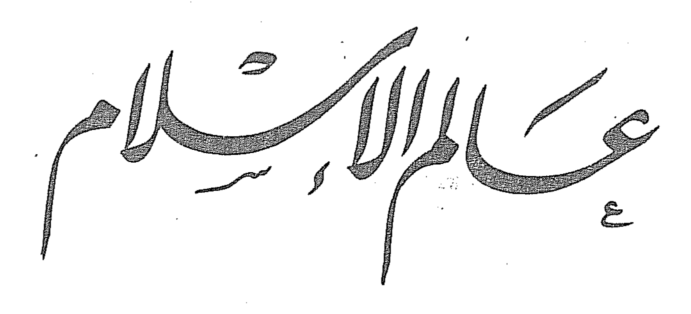
له ، ولكن هذا البلاء ليس شديدا على صاحبه الى تلك الدرجة الكبيرة ، كما ان الناس يختلفون فى نوعية المصائب التى يتأثرون بها فقد يتأثر أحدهم لموت ولده تأثرا بالغا ، بينما هو لا يتألم كثيرا لخسارة فادحة فى ماله وبالعكس ، كما انهم يختلفون فى درجة وحدة الشعور بالمصيبة والاحساس النفسى بوقعها ، لهذا كله فان المؤمن لا يسعه الا الرضا والتسليم بالحكمة الالهية فى أختيار عبيده بشتى أنواع المحن والابتلاءات والمصائب .

سعيد : لقد سكبت فى نفسى ايمانا راسخا ، لا تؤثر فى بنيانه الشبهات ولا تزعزعه المصائب ولكن شبهتى الأخيرة هى معرفة سر ما نرى فى العالم بأسره من الشر ، والاختلاف ، والتضاد ، والضغن ، والحروب والفتن ؟

الأستاذ : السر واضح ، والسبب بين ، عندما لا يكون للناس جميعا مرجع واحد يؤوبون اليه فى اختلافاتهم ، ويثوبون بفضله الى رشدهم ، ويتبينون بواسطته الحق من الباطل ، هذا المرجع الذى ينظر الى الجميع نظرة واحدة ، نظرة حب ورحمة وعدل ، ثم يشرع للجميع شرعة تكفل حقوق الجميع وتصلح حالهم ، وتساوى بينهم ، حينئذ — حين فقد الناس أو اعراضهم عن هذا المرجع — سيختلف الناس باختلاف مصالحهم ، فتتنوع اتجاهاتهم ، وتتباين آراؤهم ، وتتعدد قياداتهم تبعا لذلك ، فيخطط كل شخص لنفسه ، وكل طبقة لمصلحتها ، وكل شعب لمنافعه ، ويتدخل الهوى الانسانى ، والعقل الانسانى القاصر ، والعلم الانسانى الجزئى فى رسم النظم والمبادىء والمخططات الخاصة لكل منه ، فيقع التصادم بين مختلف الفئات ، فتسود الفوضى ، ويعم الاضطراب ، وتتقطع الأواصر ، وتوقد الحروب وتثار الفتن ، ويضرب الظلم أطنابه ، ان ما تراه من هذه المظاهر المؤلمة ليست الا من صنع الانسان الذى غفل عن ذكر الله ، واعرض عن شرعه ، واتبع هواه ...
سعيد : اذا ما أردنا سعادة نفوسنا ، وسلامة عقولنا ، وصلاح أحوالنا ، واستقرار مجتمعاتنا ... اذا ما رغبنا فى خير الانسان ، وعزمنا على تخليصه من آلامه وعذاباته المضنية ، وشفائه من امراضه النفسية ، واشباع خوائه الروحى ، وحل مشاكله العقائدية .. اذا ما أردنا للانسانيةجمعاء الخير والسلام ، والتقدم والتحاب ، فلنعد الى الله ، لنعد الى شرعه ..

سعيد : أما أنا فسأعود اليه .. سأعود اليه .. سأبذل ما فى وسعى لابلاغ هذا الخير لكل انسان تجمعنى به علاقة قرابة أو صداقة أو زمالة .. ثم انى لا أنسى فضلك العميم لقد جعلك الله سببا لهدايتى .. وقاربا لنجاتى .. سأكون وفيا لك ما دمت .. وكان الأستاذ يردد فى نفسه الحديث النبوى الشريف « لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها » ثم تمتم « الحمد لله » ..





تاليف الدكتور حسين مؤنس

عرض الاستاذ احسان صدقى العمد

كتاب « عالم الاسلام » الذى صدر مؤخرا للدكتور حسين مؤنس يعتبر بحق دراسة جديدة فى تكوين العالم الاسلامى وخصائص الجماعات الاسلامية . وتبرز أهميته للمكتبة العربية فى كونه محاولة رائدة فى ميدان التاريخ الاجتماعى الاسلامى الذى لا يزال ميدانا بكرا يستنهض همم الباحثين الجادين . وقد أحاط الكتاب فى صفحاته الستمائة بأهم الظواهر الاجتماعية العامة التى اشتركت فيها كل المجتمعات الاسلامية خلال العصور الوسطى . فكان ذلك كما يقول المؤلف بمثابة مقدمة أو مدخل للتاريخ الاجتماعى لبلاد الاسلام .

والمؤلف الذى يعمل حاليا أستاذا للتاريخ الاسلامى فى جامعة الكويت، علم معروف فى الاوساط العلمية والعربية والدولية ، وله باع طويل وجهود مشكورة فى ميدان التعليم الجامعى وفى ميادين البحث والتأليف والترجمة والتحقيق والنشر فى كل ما يتعلق بتاريخ الاسلام والمسلمين .

وكتابه الجديد « عالم الاسلام » يمتاز كغيره من مؤلفاته وأعماله العلمية ، بجدية البحث والرصانة ، وقد تمكن المؤلف بثقافته الواسعة واشرافة منظوره التاريخى ودقته المعروفة فى الملاحظة والتحليل والاستنتاج من الوصول الى كثير من المعلومات القيمة التى تغلب عليها

الجدة والموضوعيـــة . واذا كـــان المستشرق الالماني ادم ميتز (ت١٩١٧) قد تطرق الى بعض ظواهر المجتمـع الاسلامي في كتابه « نهضة الاسلام » الذي نقله الاستاذ الدكتور محمـــد عبد الهادي ابو ريده بعنوان الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، فان دراسة ميتز برغـم أهميتهـــا وريادتها لم تشمل دراسة الظواهر الاجتماعية الاسلامية في جميع بـــلاد الاسلام منذ نشأتها وحتي بدايـــة النهضة الاسلامية الحديثة كما فعـل الاستاذ مؤنس ، فضلا عن الـــروح والمنظور الاسلامي الذي نحســـه بوضوح في كتابه « عالم الاســـلام »

ضم هذا الكتاب في دفتيه ستـــة فصول ، والحق المؤلف بكل منها قائمة بالمراجع الخاصة به مما يفتح آفاقـــا لطالب التوسع في أي بحث من مباحث الكتاب .

وجاء الفصل الأول تعريفا موجزا بعالم الاسلام كمدخل لا بد منه لتحليل بناء المجتمع الاسلامي وتبيان ملامحه المميزة . وسلط فيه ضوءا كاشـــفا قويا على قيام الجماعة الاسلامية في المدينة المنورة ، والأسس الاجتماعية التي اقامها الرسول صلى الله عليه وسلم عليها ، والتطور السريع الذي شهدته الجماعة الاســـلامية بعـــد الرسول . وخلص الـــى أن هـــذه الجماعة والدولة الاسلامية كانتـــا شيئا واحدا حتى انتهـــاء خلافـــة عمر بن الخطاب بسبب سير الاثنتين على قانون أخلاقي واحد والتزامهمـــا مبادىء الاسلام . وبعد ذلك شهـــد التاريخ الاسلامي بداية الانفصال بين الجانبين ، وتجلت هذه الظاهرة في أوضح صورها زمن الدولة الأموية ، ثم استمرت ظاهرة الانفصال هـــذه بعد ذلك ، واخذ البون بين الجماعة الاسلامية والدولة يتسع حتى أصبحنا نجد اليوم في كل المجتمعات الاسلامية كيانين متميزين هما الجماعة والدولة. ويقرر المؤلف أن هذه الظاهرة هـــي التي جعلت المجتمعات الاسلاميـــة تنظم نفسها بنفسها دون الاعتمـــاد على الحكومات ، الامر الذي يجعـــل التاريخ الحقيقي للأمة الاسلامية هو تاريخ الجماعات التي تكونت منها . وتناول الفصل باسهاب ظاهـــرة انتشار الاسلام واكد أن الفتـــوح الاسلامية انما فرضت لكسر الحواجز المادية التي تقف في وجه الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنـــة والقدوة الصالحة .

ويقول الأستاذ حسين مؤنس في هذا الصدد ايضا إن جانبا كبيرا من الفضل في نشر الاسلام يعود الـــى قوة هذا الدين الذاتية وفضائلـــه وسلامة مبادئه ، وان هذه القـــوة والمبادىء هي الســـر في اجتيـــاز الجماعات الاسلامية للاخطار الكبيرة التي تهددت وجودها . وتحدث فـــي هذا المجال عن مدى انتشار الاسلام في أوروبا والامريكتين وافريقيـــا ، ولكنه حذر في نفس الوقت مـــن سياسات الدول الافريقية الحديثـــة التي تضع العراقيل في سبيل انتشار الاسلام ، ودعـــا الى ازالة هـــذه العراقيل مؤكدا أن الاحصائيات التي تنشر عن عدد المسلمين غير صحيحة وأن عددهم يصل اليوم الى حوالـــى سبعمائة مليون مسلم .

وتناول المؤلف في الفصل الثانـــي قيام الجماعة الاسلامية الاولى فـــي المدينة المنورة ، والأسس القانونيـــة والاخلاقية والحضارية التي بنيـــت عليها باعتبار أن هذه الجماعة ظلـــت المثل الأعلى الذي تتطلع اليه جميـــع الجماعات الاسلاميـــة فيما بعـــد . واشار الى الخطوات المدروسة التي قام بها الرسول الكريم لتنظيم الجماعة الاسلامية الاولى وعلاقاتها بسكـــان المدينة والمقيمين فيها والوافديـــن

عليها . وقدم الدكتور مؤنس في هذا الفصل دراسة جديدة ورائدة لدستور المدينة الذي يتمثل في الكتاب الذي كتبه الرسول بين المهاجرين والانصار ومن انضم اليهم من سكان المدينة ، وبين اهمية هذا الكتاب كوثيقة دستورية من الطراز الاول وصدورها عن التفكير القانوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه على ابراز حقوق الجماعة وواجباتها في اتفاق حر واضح باعتبار أن الحرية كانت اساس الحياة في الجماعة التي كانت تضم رجالا احرارا ذوي اعتزاز بدينهم وجماعتهم واشخاصهم . والى هذا الاعتزاز كما يقول الأستاذ مؤنس ترجع الانتصارات التي كسبوها في ميادين الشرف والجهاد والحكم والادارة . وقدم المؤلف بعد ذلك صورة عامة للمجتمع الاسلامي وملامحه البارزة كما بدت في ايجابياتها وسلبية غير المشرف منها .

ووقف طويلا عند الاخيرة بالتحليل والكشف عن الاسباب ، واوضح أن تلك النواحي ترجع لظروف قاسية المت بالمجتمعات الاسلامية في العصور الوسطى وبخاصة المتأخرة منها ، وذهب الى أن هذه الظروف هي التي جعلت الناس في تلك العصور يتصرفون بطريقة بعيدة عن مألوف ما عهد منهم باعتبار أن تدهور الظروف حول الانسان يؤدي الى انحطاط في مستوى تفكيره وردود الفعل التي تصدر عنه . وأبرز في هذا الفصل ست عشرة ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية لدى المسلمين في العصور الوسطى ، اهمها غلبة الروح الجماعية وعدم وجود طبقات متمايزة في المجتمع وتأكد الانفصال بين الحكومات القائمة وجماهير الأمة ، وقلة حماس الناس للاشتراك في جيوش الدول ومبادرة المجاهدين الى التطوع من أنفسهم لحماية ديار الاسلام والذود عنها ، فقويت روح الاعتماد على النفس عند الجماعات الاسلامية ، ووجدت الجماهير سبيلها الى النفوذ والاحترام عن طريق الدين والعلم الامر الذي جعل الفقهاء وأهل العلم يصلون الى مراكز القوة ويصبحون في نظر الجماهير رؤساء الناس وشيوخ المجتمع ، وتطرق المؤلف بعد ذلك الى قطاعي المدن والريف في المجتمع الاسلامي في العصور الوسطى ، وكيف استطاع الفلاحون القيام بمسؤولياتهم كاملة تجاه المجتمع باعتبارهم عماده الاقتصادي ، أما الاضمحلال الذي اصاب معظم المدن الاسلامية فعزاه المؤلف الى غياب الهيئات البلدية المسؤولة عن المرافق والمنشآت العامة ومواجهة الاخطار التي تهددها وخالف بذلك رأي العلامة ابن خلدون في خراب الأمصار القائم على القانون الطبيعي لنمو الاشياء وهرمها وفنائها . ويرى المؤلف أن المجتمعات الاسلامية استطاعت النجاة بنفسها برغم كل الظروف والاخطار بفضل نظام الأسرة الاسلامية المتماسك في الاسلام . وافرد المؤلف فصلا مستقلا عن الاحوال الاقتصادية في بلاد المسلمين ، وتحدث عن النشاط البري والبحري للشعوب الاسلامية ولاحظ ارتفاع نسبة التجار من عرب الجنوب والخليج العربي وكيف كان هؤلاء يفضلون لدى هجرتهم من الجزيرة الموانىء والمراكز التجارية حيث نجحوا في تكوين الثروات والبيوت التجارية . واشار الى مراكز التجارة وطرقها ومعاملاتها المالية والى الدور الذي لعبه اليهود والنصارى في هذا المجال بفضل روح التسامح التي سادت العالم الاسلامي الذي كان له الفضل في انقاذ اليهود من الفناء في العصور الوسطى ، وكيف تنكروا فيما بعد للمسلمين وفضلهم . واكد على ارتباط الازدهار الاقتصادي بتوفر الأمن ومستوى

نظام الحكم ، وان هبوط هذا المستوى وطمع الحكام في ابتزاز ما في أيدي الناس من الاموال أدى الى انهيار الاقتصاد الاسلامي بكافة أشكاله .

وخصص المؤلف فصلا آخر للفنون التي أبدع المسلمون فيها كالعمارة والنحت والتصوير والموسيقى والقصص الشعبي وخيال الظل ، واكد أن الفنون ظاهره انسانية عامة لا علاقة لها بالترف كما ذهب ابن خلدون ووقف وقفة طويلة عند الموسيقى والغناء وموقف الفقهاء منها ، ورأى أن السماع الذي كرهه أهل الفقه هو ما كان يجرى فى قصور المترفين وفى دور اللهو والحانات . واكد أن الموسيقى والغناء لم يستنكرا لذاتهما بل لما رافقهما وانه لا حرج فى السماع للنغم الجميل النبيل الذى يعزف للسمو بالنفس الى المعانى العالية أو الغناء الذى يتضمن معانى العفة والكرامة والوطنية ، ويؤدى الى حشمة ووقار .

واختتم المؤلف كتابه بالحديث عن عصور الركود الاسلامية التى تغطي الفترة الواقعة بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر للميلاد . واوضح ان الدول الاسلامية التى ظهرت خلال هذه الفترة برغم ما قامت به من جهود مشكورة فى رد العدوان الاوروبى عن اجزاء واسعة من العالم الاسلامى ، الا أنها لم تترك آثارا باقية فى اصلاح شعوبها أو النهوض بمستواها الفكرى على غرار ما فعلت الدول الاوروبية المعاصرة لها ولاحظ أن الجماعات الاسلامية جميعا تدهورت حالها وسادها الفقر وأخلاقه المتمثلة فى سقوط الهمم وفساد الاخلاق وتفشي الجهل والمرض وضياع المستويات والمعايير وقد صور المؤلف الآثار المترتبة على أخلاق الفقر أصدق تصوير حين قال : « ان المجتمعات الى تسودها نفسية الفقر تجد الناس جميعا يتخلقون بأخلاق الجياع حتى الحاكم وصاحب الأمر تراه ينهب ويعتدى دون حياء لأنه وان لم يكن فقيرا الا أنه تسيطر عليه روح الفقر وأخلاقه كما لاحظ أن الحكومات التى عرفتها عصور الركود الاسلامية كانت طرازا واحدا سيئا من الاستبداد والظلم والافلاس المالى والعجز العسكرى . وقرر أن السبب الرئيسي لقيام هذه الظاهرة يعود الى تبني نظام الحكم المطلق الذى اسقط الجماهير من حسابه ولم ينتفع بقاعدة الشورى الاسلامية فى كل ما يتصل بمصالح الأمة ، فى وقت كانت فيه الدول الاوروبية المعاصرة تزيد من اهتمامها واعتمادها على شعوبها . لكن المؤلف المنصف لاحظ أن الركود السياسى والاقتصادى والعسكرى الذى ساد العالم الاسلامى لم يشمل الناحية الفكرية ، اذ شهدت تلك العصور نشاطا فكريا له ملامحه المميزة . وانجبت كبار الموسوعيين كالنويرى وابن فضل الله العمرى والقلقشندى وابن تيمية وابن خلدون والمقريزى والعينى وابن تغرى بردى وابن حجر والسخاوى والزبيدى والجبرتي وغيرهم كثير . وعزا هذه الظاهرة الى حيوية الفكر العربى لارتباطه بالاسلام وقيمه الثقافية والاجتماعية الخالدة .

وكان المؤلف يود أن يختم كتابه عالم الاسلام بفصل ضاف عن النهضة الاسلامية الراهنة التى أعقبت عصور الركود ، ولكنه لم يفعل لأن الحديث عن عصر النهضة طويل ومتشعب يحتاج الى كتاب لا فصل ، وكان الأستاذ مؤنس قد تناول هذا الموضوع من قبل فى كتابه « الشرق الاسلامى فى العصر الحديث » الذى يعيد الآن النظر فيه ليعالج عصر النهضة بشكل اوفى واكمل .

أمد الله فى عمره ونفعنا بالمزيد من أبحاثه وعلمه .



للأستاذ : انور الجندى

فى خلال عام ١٣٩٣ الهجـرى ودع عالمنا امام جليل عرفته دوائر الفكر الاسلامى منذ اكثر من سبعين عاما عاملا ناهضا محققا كان فى بدء حياته الفكرية على موعد مع لقاء الامام محمد عبده فى تونس عنـدما زارها فى رجب ١٣٢١ (الموافق ١٩٠٣) ومنذ ذلك الوقت الى أن ووري التراب وهو عامل على النهج ، سائر على الطريق ، كقائد من قادة حركة اليقظة الاسلامية لم يتخلف ولم يتوقف بالرغم من طول الطريق وارتفاع السن وتعقد المشاكل وتعدد القضايا .

يقول نجله العلامة (محمد الفاضل ابن عاشور) في تأريخه للحركة الفكرية الاسلامية في تونس : « انه كان أكثر الناس التفافا حول الامام محمد عبده والتحاما به مدة أقامته بتونس وكان رفيقاه من رجال الخلدونية الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلى وكان ثلاثتهم من العاملين فى تأييد الفكرة الاصلاحية ويقول الفاضل في تصوير دور والده (الطاهر) رحمة الله عليهما : « والشيخ محمد الطاهر بن عاشور يومئذ شاب فى الرابعة والعشرين يعد أبرز مدرسى الجامع شبابا وذكاء وعلما وأدبا وأسبقهم الى اتباع استاذيه الشيخ سالم أبو حاجب والشيخ محمد النخلى فى تأييد الفكرة الاصلاحية فكان من انصار الجمعية الخلدونية ومن أعضاء مجلس ادارتها وكانت محبة الطلبة الزيتونيين فيه بالغة مبلغا عظيما » .

« واقامت الخلدونية مجمعا عاما القى فيه الاستاذ الامام محاضرته القيمة عن (العلم وطرق التعليم) فكانت تأكيدا وتقوية للحركة الاصلاحية وأصبحت أساس العمل لحركة الاصلاح الزيتونى وقد نشرتها جريدة الحاضرة تباعا ونقلتها عنها المؤيد والمنار وثمرات الفنون » .

تلك هى صورة هذا العلامة منذ ذلك الوقت البعيد قبل سبعين عاما على وجه التقريب وقد قص طرفا من حياته وجهاده فى كتابه (أليس الصبح بقريب) الذى صدر عام ١٩٦٠ فأشار الى أنه حصل على شهادة التطويع عام ١٣١٧ هـ وأنه شارك فى تأسيس الجمعية الخلدونية ١٣١٤ وكان الشيخ محمد بن الخوجة هو شيخ الاسلام فى عهد تلمذته . كما أشار الى أن جمعية قدماء المدرسة الصادقية تأسست عام ١٣٢٤ برئاسة (خير الدين بن مصطفى) وأنه شارك فيها مع عبد الرحمن الكعاك والطيب ابن عيسى والصادق النيفر وبلحسن النجار ومحمد بن الصادق بن القاضى ومحمد الخضر بن الحسين ثم رأس هذه الجمعية بعد ذلك بقليل .

وقد جاء هذا العمل كله فى دائرة اللقاء بالشيخ محمد عبده سابقا له وتابعا بعد سفره وقد أكد هو هذا الاتصال في كتابه (أليس الصبح بقريب) حين قال : (في عام ١٣٢٠ (١) هـ صادف ورود الأستاذ الشيخ محمد عبده الى تونس والافكار قد نضجت من الخوض فى هاته المسائل ومطالعتها (يقصد دراسة العلوم الاسلامية) فاشرأبت الأعناق الى سماع رأى زعيم النهضة المصرية وما كان الا ان سمعوا عنه خطابه الذى القاه فى قاعة الخلدونية وحضره مئات من أهل العلم فأنحى فيه على الحالة المتبعة عندنا وعندهم بما كان سببا لفتح ما بقى مغمضا من عيون الغافلين ولذلك اغضب عليه كافة الجامدين من أهل العلم الا انهم اعترفوا بوجود خلل فى التعليم بألسنتهم وبما كتبوه ومن أهم ذلك وأصرحه ما كتبه محمد النجار المفتى المالكى فى رمضان ١٣٢١ هـ) .

وقد تضمن خطاب الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده توجيها صالحا للمسلمين فى البلاد المحتلة والمستعمرة وهو الاتجاه الى العلم وترك السياسة حتى ينفسح السبيل أمام المسلمين إلى التماس النهضة الحقيقية .

وقال الاستاذ محمد عبده فى خطابه : ان معنى العلم الحقيقى الذى اثنى الله عليه وميز به المهتدين من الضالين هو الكشف عن الأمر الحقيقى بمعنى اذا أراد أن يميلك عنه مميل لا يقدر على ذلك ، كمن عرف طريقا موصلة الى غاية فلا يعدل عنها مهما حاول مضله فلا يكون العلم حقيقيا ولا تنبعث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه » .

وقد دعا الشيخ محمد عبده علماء تونس الى الأخذ باشياء ثلاثة :

اولا : الجد فى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقها القريبة .

ثانيا : الجد فى الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعة الشريفة مع الاقتصاد فى المعيشة .

ثالثا : مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الأمر يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة لهم » .

وقد أشارت جريدة الطان الفرنسية بعد ذلك الى أن فى تونس طائفة معتدلة تعمل لترقية المسلمين فى العلوم والمدنية مع المحافظة على دين الاسلام وأهلها يتبعون التعاليم التى كان يلقيها فى مصر الشيخ محمد عبده والتى تنشر فى مجلة المنار .

— ٢ —

اما علامتنا المرحوم (محمد الطاهر ابن عاشور) فقد تابع طريق (مدرسة المنار) فى العلم من ناحية وظاهر الاستاذ الشيخ محمد عبده فى كل معاركه بعد ذلك وفى مقدمتها ما أثير حول (مسألة الفتوى الترنسفالية) فى أواخر عام ١٣٢١ هـ وهى التى تتعلق بإباحة لبس القبعة وأكل ذبائح أهل الكتاب .

وكانت القضية قد أثيرت في مصر غير أن الشيخ الطاهر في تونس لم يلبث أن أعد رسالة فقهية مدعمة بالأدلة على المذهب المالكي لتأييد مفتي الديار المصرية في هذا الامر نشرت يومئذ منسوبة الى عالم تونسي ثم أشار صاحب المنار من بعد انها للشيخ ابن عاشور .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد نمى الشيخ الطاهر مفاهيم العلم ومناهجه وشرع يكتب في المجلات الاسلامية حول تجديد الدراسات الاسلامية واصلاح التعليم الاسلامي وفي احدى دراساته التي نشرتها مجلة السعادة العظمى يدعو الى (اقامة نبراس مبين بين يدي الباحثين يكون متحفظا فيه من عواطف الأهواء والشبهات) فهو يرى ضرورة قيام التناظر والبحث دون أن يكون ذلك محفوفا بتعصب أو اضطهاد . كذلك فهو يدعو الى شجب الحجر على الراي لأن ذلك (يكون منذرا بسوء مصير الأمة ودليلا على أنها قد أوجست في نفسها خيفة من خلاف المخالفين وجدل المجادلين) .

فهو ينهى عن أمرين : ضيق في الأفكار وقصور عن اقامة الحق . ويرى أن قيد الاستعباد اذا خالط نفوس أمة كان سقوطها أسرع من هوي الحجر الصلد » . ولقد امتد هذا الفهم وهذا النضال من أجل تحرير مناهج الدراسات الاسلامية والتعليم طوال حياة مترجمنا الذى مد الله له فى العمر فتوفي في الثالثة والتسعين بعد حياة حافلة تقلد فيها مختلف المناصب الاسلامية الكبرى وكان آخرها شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس .

وقد شارك خلال حياته الفكرية

الطويلة في مختلف المسائل والقضايا التي تناثرت في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ولكنه كان حريصا على أمرين كبيرين .

(الأول) : اصلاح التعليم الاسلامي وقد أورد في كتابه (اليس الصبح بقريب) دراسة تاريخية مطولة لما قام به في ذلك ولما شارك به من جهاد ونضال ومعارك في سبيل اصلاح التعليم الاسلامي منذ عام ١٣٢١ هجرية حتى السنوات القريبة قبل وفاته بقليل . يقول :

(قد كان حدا بي حادي الآمال واملى على ضميري منذ عام (واحد وعشرين وثلاثمائة والف) للتفكير في طريق اصلاح تعليمنا العربي الاسلامي الذي اشعرتني مدة مزاولته متعلما ومعلما بوافر حاجته الى الاصلاح الواسع النطاق فعقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة الى ذلك وبيان أسبابه) ثم أشار الى أنه لم يدع فرصة خلال هذه السنوات السبعين الى اصلاح التعليم الا انتهزها وقدم فيها مقترحاته الضافية وقد اتخذ من نفسه مثالا لمناهج التعليم التقليدية التي لو ازيحت لحققت الكثير له يقول : « اني على يقين انني لو اتيح لي في فجر الشباب التشبع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيرا من مواهبي ولاكتسبت جما من المعرفة ولسلمت من التطوح في طرائق تبين لي بعد حين الارتداد عنها مع اني أشكر ما منحت به من ارشاد قيم من الوالد والجد من نصحاء الاساتذة » .

وفي جولة واسعة وعميقة وثرية بالتجربة والخبرة يكشف عن أسباب تأخر العلوم الاسلامية ويلخصها في عبارة مضيئة هي :

« وجود مسائل لا حاجة اليها وإهمال مسائل وعلوم مهمة او ان شئت فقل « الزيادة والنقصان » . ويفسر ذلك في قوله :

خطأ تعليم ما يفشل عزائم النفوس مثل تعاليم الزهد الغالي وتعليم الحيل والمغالطات ومساوىء الأخلاق .

كذلك يشير الى خطأ الاعجاب الى درجة التعصب بآراء المتقدمين كيف كانت وتنزيهها عن الخطأ «فانحصر العلم في نقل واحد عن آخر وربما وجدت في التآليف نقل قولين متجانبين وهما متضادان من غير أن يبحث المؤلف في صحة أحدهما » .

(الثاني) تأكيد عظمة الشريعة الاسلامية والكشف عن ميزات النظام الاجتماعي في الاسلام : وذلك في كتابه الذي صدر في السنوات الأخيرة من حياته تحت عنوان (أصول النظام الاجتماعي في الاسلام) وقد تحدث فيه عن علاقة دين الاسلام بالمدنية وتأثيره في ارتقاء الأمة وذلك بالكشف عن تاريخ الأمة كما كانت زمن ظهوره .

ويرى أن أصول النظام الاجتماعي في الاسلام تقوم على (ضبط) حالة المسلمين في مجتمعهم عن طريق اصلاح الأفراد والاصلاح الاجتماعي .

فهو يرى أن الاسلام دين الفطرة ودين الاعتدال والتوسط ودين السماحة وان (كل هذه الخاصيات نابعة من ميزة الاسلام الكبرى وهي أن هذا الدين دولة لأن دعوة الاسلام تخالف ما سبقها مخالفة بينة من جهة كونه دينا عاما حيث استعد البشر الى قبول دين عام ومن جهة امتزاج الدين مع الشريعة بما يضبط للأمة أحوال نظامها الاجتماعي في تصاريف الحياة كلها مكملة للنظام الديني الذي هيأ

أفراد الحياة للاتحاد والمعاصرة .

كما يشير الى أن هناك خصلتين اساء الجمهور فهمهما : هما التوكل والرضي بالقضاء والقدر وقد كشف عن عظمة مفهوم الاسلام فيهما . ثم خلص الي ضرورة قيام (الجامعة الاسلامية) مبينا طرافة الاسلام الذي جعل جامعة الدين هي الجامعة الحقة للمسلمين والغى ما عداها من الجوامع فاعتبرها جوامع فرعية ما لم تعتمد على الجامعة الكبرى وقال (ان هذه الجامعة الاسلامية لا تعادلها جامعة أخرى لأن جوامع الأنساب والمواطن جوامع اصطلاحية قاصرة » .

— ٣ —

من خلال دراسة نتاج العلامة محمد الطاهر بن عاشور وآثاره في الحركة الفكرية الاسلامية عامة والتونسية خاصة وأثره في الجامعة الزيتونية والتعليم الاسلامي ودراسته للنظام الاجتماعي الاسلامي ودفاعه عن مفهوم الاسلام الكامل الجامع دينا ونظام مجتمع على النحو الذي تتسم به كل آثاره وخاصة كتابه الذي رد فيه على ما كتبه (على عبد الرازق) عن الخلافة وأصول الحكم وهو من خير الدراسات التي واجهت أهداف هذا الكاتب ومن تابعه في محاولة انتقاص مفهوم الاسلام ومنهجه الجامع للاسلام دينا ودولة . أقول من خلال هذه الآثار كلها ومن خلال ذلك العمر المديد المريض الذي لم يتوقف فيه هذا العلامة عن العمل وارتباطه الواضح بحركة اليقظة الاسلامية من مصادرها الأولى ومنابعها منذ دعا بها الامام محمد بن عبد الوهاب وتابعه عليها المصلحون المسلمون نجدنا قادرين على ابراز مكانة هذا العلامة بين أهل جيله وقومه من ناحية وبين دعاة الاسلام البارزين من ناحية أخرى .

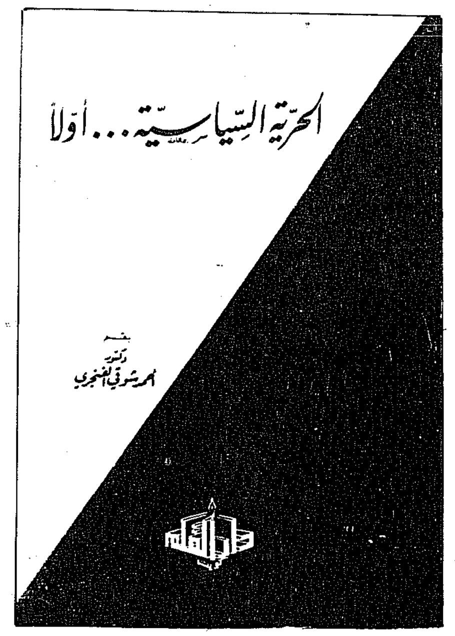
أما في تونس فهو من أبرز ذلك الرعيل الذى عرف فيه عبد العزيز الثعالبى ومحمد الخضر حسين والصادق النيفر وهم صفوة المجاهدين في الحقل الاسلامي والذين تابعوا مدرسة المنار حين اتجهت غربا واتصلت بقادة النهضة في الجزائر من أمثال عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الابراهيمي وأحمد توفيق المدني ومبارك الميلي وغيرهم وكذلك اتصالها بنهضة الاسلام في المغرب ومن العاملين لها محمد العربي العلوى ومحمد بن كنون وشعيب الدكالي وتابعهم على الطريق العلامة علال الفاسي وصفوة من العاملين .

هذا في الجناح المغربى أما في المشرق فقد كان على طريقهم عبد الرازق البيطار وجمال الدين القاسمي في دمشق ومحمد رشيد رضا في مصر ونعمان أبو الثناء الالوسي في العراق فهي مدرسة ممدودة متصلة مترابطة تسير في طريق واضح هو نفس الطريق الذى سار فيه الامامان الجليلان : أحمد بن حنبل وابن تيمية .

واذا كان لم يتح لنا ان نلتقي بهذا العلامة الكبير فقد رأينا ثمرة غرسه في ابنه النابغ الذى قضى مسرعا محمد الفاضل بن عاشور ، ذلك النموذج الطيب الكريم الجامع بين علم الاسلام وعلم الغرب ولغته من حيث هذا كله في خدمة الاسلام رحم الله العلمين الجليلين وكتب لهما منازل الصديقين .

---

(١) اشار الشيخ رشيد رضا في المنار وفي كتابه عن الاستاذ الامام ان ذلك كان صيف ١٣٢١ هـ ..



الحرية السياسية .. اولا
للدكتور احمد شوقى الفنجرى

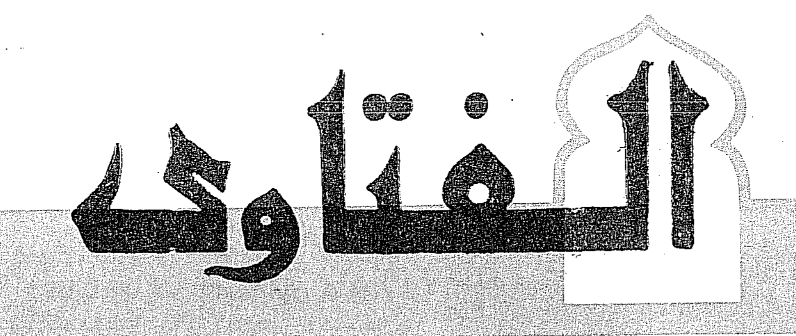
كتاب يقارب التسعين صفحة ، يبحث بايجاز دقيق مفهوم الحرية السياسية ، ويتناول بأسلوب شيق سلس العلاقة بين الحاكم المحكوم ، وحق الرعية فى حكم نفسها بنفسها ، والمبادىء والقواعد التى نادت بها الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ونصت عليها الدساتير الحديثة ، كما أنه يتعرض الى الاسباب التى أدت الى تخلف امتنا عن ركب الحضارة ، وكذلك أسباب فشل الديمقراطية فى عالمنا العربى ، ثم أخيرا يرسم لنا المؤلف الطريق السليم الى الحرية السليمة وذلك بالعودة الى روح الاسلام وتعاليمه النبيلة التى تنادى بالتراحم والتعاون والعدل والمساواة .

والكتاب من نشر دار القلم ص.ب (٢٠١٤٦) الكويت .

لمحات فى الثقافة الاسلامية
للأستاذ عمر عوده الخطيب

كتاب يرمى الى تزويدنا بثقافة نافعة عن اسلامنا ، تؤدى الى ترسيخ مبادئه والايمان بمثله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، واحباط المكائد التى تحاك ضده من أعدائه وبخاصة فى المضمار الفكرى والثقافى — وهو يزود العقل بالحقيقة الناصعة عن هذا الدين وسط ضباب كثيف من أباطيل الخصوم ، ويربى فيه ملكة النقد الصحيح التى تقوم المبادىء والنظم والمذاهب التقويم السليم .

والكتاب يحتوى على ستة فصول تشمل كل مدلولات الثقافة . منها الثقافة والمجتمع ، والثقافة والحضارة ، وركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها والقوى المعادية لها ، والاستشراق والثقافة . وغير ذلك مما احتواه الكتاب المذكور الذى يقع فى (٣٨٠) صفحة ومن نشر الشركة المتحدة للتوزيع ص ب (٧٤٦٠) بيروت — لبنان .



وجهت هذه الاسئلة الى فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل فاجاب عليها بما يلى :

هجر القرآن

السؤال :

ما تقولون فيمن يهجر القرآن العظيم وهو ممن يحسن القراءة ويعد نفسه من الكتاب هل عليه اثم بذلك .. ؟

الاجابة :

أولا ينبغى أن نعرف معنى الهجر ، فهجر القرآن ذكره الله تعالى فى كتابه بقوله : ((**وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا**)) .. قال ابن كثير : وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون الى القرآن ولا يستمعون اليه كما قال تعالى عنهم : ((**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**)) فكانوا اذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام بغيره فهذا من هجرانه ، وترك الايمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه الى غيره

من شعر أو قول أو غناء أو كلام او طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، وقال ابن القيم رحمه الله في الفوائد : هجر القرآن أنواع :

أحدها : هجر سماعه والايمان به والاصغاء اليه .

الثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به .

الثالث : هجر حكمه والتحاكم اليه فى أصول الدين وفروعه .

الرابع : هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به سبحانه وتعالى .

الخامس : هجر الاستشفاء والتداوى به من جميع أمراض القلوب وأدوائها ، وكل هذا داخل في قوله تعالى : « **وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا** » وان كان بعض الهجر أهون من بعض . انتهى .

فهذا كلام أهل العلم فى معنى هجر القرآن ، وأما ما ذكروه فى آداب قراءة القرآن فقالوا : يسن ختمه في كل اسبوع . يعنى فى سائر السنة قال عبد الله بن الامام احمد كان أبى يختم القرآن فى كل أسبوع وذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو « اقرأ القرآن فى كل أسبوع » رواه ابو داود .

ويكره تأخير ختم القرآن فوق اربعين يوما بلا عذر ، قال الامام احمد أكثر ما سمعت ان يختم القرآن فى اربعين يوما ، ولأنه يفضى الى نسيانه والتهاون به ويحرم تأخيره فوق الاربعين ان خشى نسيانه قال الامام أحمد ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه .

وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القرآن اذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له ابل فان عقلها حفظها ، وان أطلق عقالها ذهبت ، فكذلك صاحب القرآن » .

وعن ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تعاهدوا القرآن فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصيا من الابل فى عقلها » التفصى التخلص ، يقال تفصى فلان من البلية اذا تخلص منها .

وقال ابن كثير : ومضمون هذه الأحاديث الترغيب فى كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير ، نسأل الله العافية منه .

وفي حديث عبادة بن الصامت « ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه الا لقى الله أجذم » رواه الامام أحمد وأبو داود وغيرهما . وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت على أجور أمتى حتى القـذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبـا أكبر من آية أو سورة أوتيها رجل فنسيها » . رواه أبو داود والترمذى وغيرهم .

قال ابن كثير : وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى : **« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »** وهذا الذى قاله وان لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضـه فان الاعراض عن تلاوة القرآن ، وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهـاون كبير ، وتفريط شديد ، نعوذ بالله منه . الى آخر ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

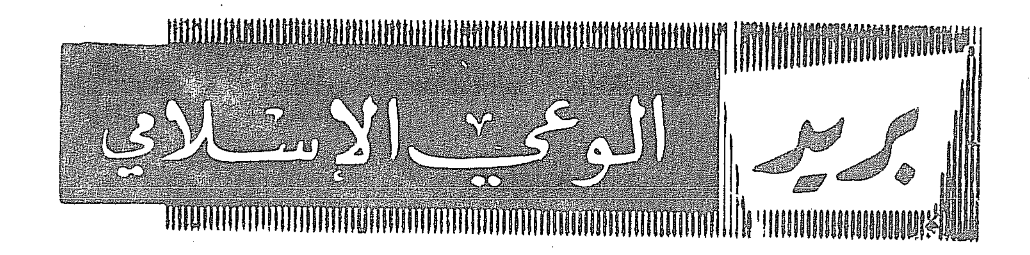
مد الانسان رجليه الى القبلة

السؤال :

ما حكم مد الانسان رجليه الى القبلة سواء حال النوم أو اليقظة وعن اسناده ظهره اليها فى المسجد وغيره .. ؟

الاجابة :

قال ابن مفلح فى كتاب الآداب الشرعية (فصل) فى كراهية اسـنـاد الظهر الى القبلة فى المسجد : ويكره أن يسند ظهره الى القبلة ، وقال احمد يعنى الامام احمد بن حنبل : هذا مكروه ، وصرح القاضى بالكراهية قال ابراهيم : كانوا يكرهون أن يتساندوا الى القبلة قبل صلاة الفجر ، رواه ابو بكر النجاد الى أن قال (فصل) فى كراهية مد الرجلين الى القبلة : ذكر غير واحد من الحنفية رحمهم الله انه يكره مد الرجلين الى القبلة فى النوم وغيره . وهذا ان ارادوا به عند الكعبة زادها الله شرفا فمسلم ، وان أرادوا مطلقا كما هو ظاهر العبارة فالكراهية تستدعى دليلا شرعيا ، وقد ثبت فى الجملة استحبابه أو جوازه كما فى حق الميت ، قال فى المقصد فى كتبهم : ولا يمد رجليه يعنى فى المسجد لأن فى ذلك اهانة له ، ولم أجد أصحابنا ذكروا هذا ولعل تركه أولى ، ولعل ما ذكره الحنفية رحمهم الله من حكم هاتين المسألتين قياس كراهية الامام أحمد الاستناد الى القبلة كما سبق ، فان هاتين المسـألتين فى معنى ذلك ، والله أعلم .



اعداد : عبد الحميد رياض

طاعة أولى الأمر

ما معنى قول الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .
واذا كانت طاعة اولى الأمر من الحكام واجبة فما حدود هذه الطاعة الواجبة ؟

صالح قايد ـ عدن

لا شك أن الاسلام يوجب على المسلم الطاعة لله فى كل أمر ، فان مقتضى الايمان بالله أن يتلقى المؤمن من الله ما سنه من شريعة أودعها كتابه الكريم بقبول ورضى وتطبيق ، لأن شأن المؤمن بالله المقر بألوهيته العلم بأن طاعة الله واجبة .

ويجب كذلك على المؤمن طاعة رسول الله فيما بلغ عن الله من شريعة ، وسن من قواعد ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحى يوحى اليه ، وطاعة الرسول فى واقع الأمر طاعة لله عز وجل **« من يطع الرسول فقد أطاع الله »** .

وانه لمن النفاق أن يدعى المرء أنه يؤمن بالله ، لكنه يتحفظ فى الايمان برسوله ، لأنه لا حاجة له بذلك ، مع العلم أن الذى يؤمن بالله حقا لا بد أن يتلقى بالتسليم والرضا ما شرعه على لسان رسوله ، ومن هنا كانت السنة النبوية الصحيحة مصدرا من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل .

بقى أن تعلم أن طاعة أولى الأمر من الحكام المؤمنين واجبة بنص هذه الآية **« وأولى الأمر منكم »** ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم **« السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »** وقوله صلى الله عليه وسلم **« لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا واطيعوا »** فاذا أمر بمعصية أو أحل حراما أو حرم حلالا لم يكن أمينا على شريعة الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا طاعة له ، وليس له فى رقاب المؤمنين طاعة واجبة ، وما أروع ما قاله الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته المشهورة « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

وليكن الحكم دائما فيما يعرض من المشكلات ، والفيصل في كل ما يجد من أقضية ، هو كتاب الله وسنة رسوله ، تمشيا مع المنهج النبوي المأخوذ من الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي**)) .

الدين والدولة

هل هناك فصل بين الدين والدولة ، وهل يمكن أن يستقيم شأن الناس في دولة دون أن يكون لها دين تحتكم اليه .. ؟

عبد الله سيف زايد ــ البحرين

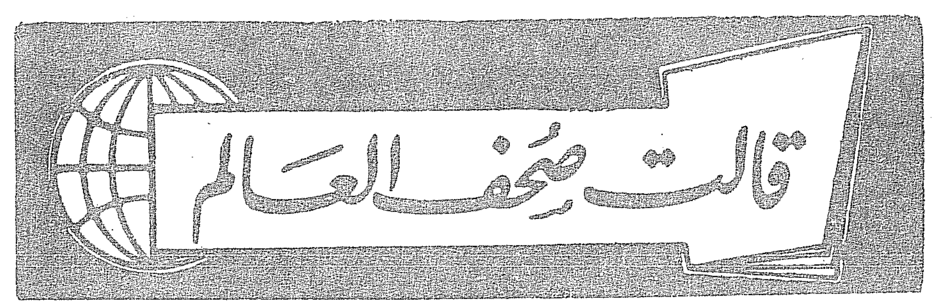
ليس هناك أصلا فصل بين الدين والدولة ، لأن الاسلام يوجب أن تقوم الدولة في عقيدتها ، وتشريعها ، ومنهجها في الحياة على أساس من الدين ، فالادارة والقوانين ، وكل ما له أثر في حياة الأمة ، لا بد أن يستمد صلاحية نفعه من الدين ، والذين يدعون أن التمسك بالدين رجعية ، ودعوة الى التأخر ، وتنكب للجادة ، جانبهم الصواب كثيرا ، بل إنهم يحاولون بذلك أن يحطموا في الأمة نهضتها ، وأن يصموها بالجهل ، وأن يبعدوها عن ما يصلحها ، ويقوم معوجها ، وأمامهم الدليل واضح ، فقد حكم الاسلام قرونا طويلة بلاد الاسلام بشريعته السمحة ، على خير وجه ، وقد لوحظ أن فصل الدين عن الدولة في بلاد المسلمين، قد أدى الى أن يأخذ المسلمون بقوانين لا تمت الى دينهم ، وطبيعة تكوينهم بصلة ، ولماذا نترك الدين ، ونفصله عن الدولة وهو الذي يدعو الى إقامة المجتمعات القوية على أساس من العدالة الاجتماعية ، دون مظالم ، والمساواة الحقة دون أثرة ، والفرص المتكافئة دون احتكار واستغلال ، والحياة الكريمة دون بطالة وكسل .

وهذه هي الدولة في ظل الاسلام ، كل متماسك كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

فلا دولة مدعمة القوائم بلا دين يشد من أزرها ، ويكون صخرة تتحطم عليها معاول الهادمين الداعين الى فصل الدين عن الدولة ، وأمامنا قول الله تعالى ((**وأن احكم بينهم بما أنزل الله**)) وقوله سبحانه ((**اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء**)) وقوله سبحانه ((**والذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**)) .

وخلاصة القول أن الدولة بلا دين جسد بلا روح ، فقوام الدولة المسلمة دينها ، وفصلها عن دينها حكم عليها بالفناء ، وهاوية تتردى فيها بلا روية .

وان كان هناك دول أقامت صرحها على أساس من الالحاد واللادينية ، فانها لا شك منهارة من داخلها يتحكم فيها شرذمة من الأراذل لا ترعى في الناس إلا ولا ذمة ، لأن أساس العدل فيها متداع ، ورباط المجتمع فيها مفكك العرى ، ولا تلبث أن يزول سلطانها من النفوس فيعيش أبناؤها نهبا للرذيلة، وهدفا للانحلال البغيض المقيض للدعائم ، فيبدون وقد مزق اللهو كيانهم ، وهذه الحقيقة الماثلة أمامنا في المجتمعات اللادينية في الامم التي اتخذت لنفسها خطا غير متلائم مع الدين ، بل ومناف لكل دين تؤكد بلا خفاء أنه لا يمكن أن يستقيم شأن الناس بلا دين تحتكم اليه والاسلام هو غاية ما تصبو اليه الانسانية .



رسـالة الأزهـر

تحدث فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر عن رسالة الأزهر وذلك فى مقابلة أجراها معه مندوب صحيفة (أخبـار العالم الاسلامى) بمكة ، فقال فضيلته :

نشر العلم الاسلامي هو رسالة الأزهر الخالدة . وهـذه الرسالة تتحقق بطرق شتى منها :

١ ـ استقبال الوافدين من مختلف الأقطار الاسلامية لتعليمهم فى رحاب الأزهر ، وقد بنى الأزهر من أجلهم مدينة سكنية تتسع لخمسـة آلاف ، يأكلون فيها ، ويبيتون ويتعلمون ، على نفقة الأزهر ، ويأخذون بعض المال كمصـاريف شخصية . وقد رصد الأزهر الآلاف المؤلفة من أجل ذلك .

٢ ـ واذا كان الأزهر يستقبل الوافدين فانه فى الوقت نفسه يرسـل المبعوثين الى مختلف البلاد فى العالم يدرّسون ويعظون وينشرون العلم الاسلامى فى بقاع هي فى حاجـة الى ذلك . وقد رصدت الدولة لذلك نصف مليـون من الجنيهات المصرية .

٣ ـ والدعوة الى الله عن طريق الكتب والرسائل تطبع وتباع بثمن رمزى .

٤ ـ والدعوة الى الله عن طريق رد الشبهات والرد على الانحرافات التى تفد من الغرب فى صور مختلفة .

٥ ـ ومن المشاريع التى يزمع الأزهر القيام بها ، مشروع دائرة المعارف الاسلامية ، وهو مشروع جليل يخطط الأزهر له . .

٦ ـ ويقوم الأزهر الآن بعمل تفسير وسيط للقرآن وهو يصدر تباعا ، وقد صدر منه بالفعل بعض الأجزاء . . وهكذا يتابع الأزهر الدعوة الى الله بشتى الوسائل وفى حدود امكاناته المادية . .

ولا يمكن أن ننهى الحديث عن نشاط الأزهر دون أن نشير الى مشروعين جليلين :

احداهما : مشروع تقنين الشريعة الاسلامية ، وقد انتهى الأزهر من تقنين الجانب المدنى من الشريعـة بحسب كل مذهب ، وأصدر فى ذلك كتبا عن كل مذهب مستقلا ، ثم بدأ بتقنين الشريعة على وضع موحد ، أى انه يختـار من المذاهب الأقوى حجة والأثبت دليلا والانسب للعصر الحاضر . .

أما المشروع الثاني : فهو موسوعة السنة ، وذلك بتحقق أمور ثلاثة :

أولها : جمـع الأحاديث .

ثانيها : التعريف بالمصطلحات .

ثالثهما : التعريف برجال الحديث .

وهو مشروع طويل المدى ، ولكن العمل بدأ فيه ، ونرجو من الله التيسير .

وان المشاريع التى ذكرنا تنال من عناية الأزهر الكثير . . واذا كان الحديث يقتضى التنويه بميدان بالذات ، فانه من غير شك ميدان التعليم : وذلك أن الأزهر

تتبعــه معاهد لتعليم القرآن ، ومعاهد أخرى للتعليم الابتدائى ، ومعاهد للتعليم الثانوى وجامعة الأزهر وحدها أى التعليم العالى فى الأزهر يبلغ طلبتها حوالى الأربعين ألفا ، يدرسون مختلف العلوم ، وقد استكمل الأزهر الآن فى جامعتــه مختلف العــلوم ..

واذا كانت جامعة الأزهر وحدها تضم ما يقرب من الأربعين الفا فان معاهد الأزهر على مختلف مراحلها تضم آلافا من الطلبة ، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يهيىء لهم مستقبلا كريما ..

المؤسسة الاسلامية الماليـــة

اتفق وزراء مالية الدول الاسلامية على اقامة بنك اسلامى عالمى يكون سندا للدول الاسلامية تجابه به مطالب العصر وحاجاته ، والأمة الاسلامية وهى تملك الطاقة الضخمة من مصادر الثروة كما تملك فى نفس الوقت الطاقة الضخمة من القوة البشرية ، هذه الأمة أولى بها ثم أولى أن تدرك أهمية وحدتها الاقتصـــادية فى عصر قامت فيه التكتلات الاقتصادية العالمية بهدف نهب خيرات المســـلمين والسيطرة عليهم اقتصاديا واستغلال ثرواتهم لخــدمة اغراضـــهم الاستعمارية ولتدعيم الكيان اليهودى المعادى للاسلام والمسلمين .

اليوم قد آن لأمتنا الاسلامية ذات التشريع الانسانى والحضارة التالدة التى أضاءت للعالم طريقه نحوا من عشرة قرون من الزمان ، أن تتأهب لاســتئناف القيام بدورها الحضارى من جديد ، فقد كان العالم الاســلامى ، وما يزال ، مصدرا للاشعاع الفكرى والحضارى ، تهتدى به البشرية فى مختلف عصـــور تقدمها . وهو أقدر اليوم على أن يبدد أسباب القلق وأن يكون مصدر خير وبركة على العــالم كله .

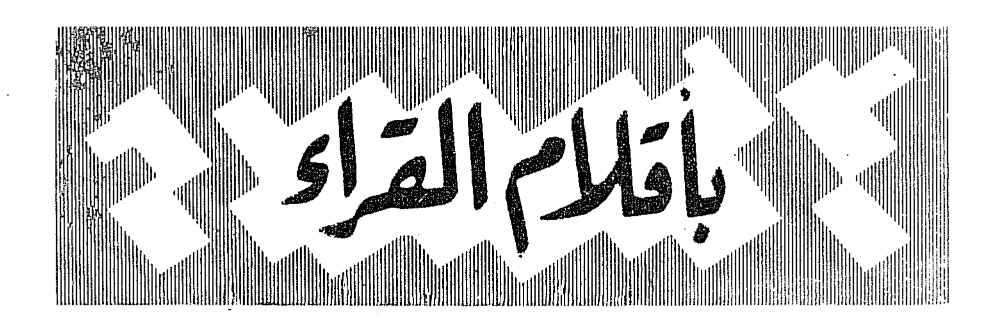
ومن أجل ذلك يجب انشاء (المؤسسة الاسلامية المالية للتنمية الاقتصادية) برأسمال يوزع على أسهم اسمية ولا يجوز لغير المسلمين الاكتتاب فيها أو تلقيها بالتنازل وانما تكتتب فيها الحكومات الاسلامية والجمعيات والمنظمات والمؤسسات والأفراد والشخصيات الاسلامية حتى تقوم على أغراض مشروعات التنميـــة الاقتصادية فى مختلف مظاهرها من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات لحسابها أو لحساب الغير أو بالاشتراك معه .

كما يجب أن تحتوى فى مجالها أوجه الاستثمار فى مشروعات التنميـــة وقبول الودائع وفتح الحسابات الجارية وتنظيم الاكتتابات العامة وســـندات الشركات أو غيرها وانشاء صناديق مشتركة لاستثمارات الأوراق المالية وادارتها لحساب المشتركين وجميع الأعمـــال المتعلقة بالأوراق الماليـــة وتحصيل ودفع الاوامر وأذون الصرف وغيرها من الاوراق ذات القيمة .

ومؤسسة كهذه تهدف الى توحيد الكيان الاقتصادى للأمة الاسلامية ودعم وابراز أسسه ومقوماته علميا وعمليا فكرا وتطبيقا ، لا بد لها من أن تنشىء صندوقا للزكاة يقتطع له ٥ر٢٪ من صافى الأرباح يضاف اليه ما يقدمه لها المسلمون من مال الزكاة لتنفق حصيلته على مصارف الزكاة الشرعية فى الاسلام بالنســـبة للمسلمين في جميع انحاء العالم وعلى خدمة نشر الدعوة الاسلامية واقامـــة المساجد والمدارس والمستشفيات .

وفقنـــا الله للخير والحق ، وهـــدانا لهديه الكريم ، وأنار قلوبنـــا بنـــور الاخلاص واليقين .

عن مجلة الشبان المسلمين القاهرية



واجب علماء المسلمين

فى خضم هذا الصراع الداوى بين الاسلام وخصومه ، بين الحضـــارة الحديثة بكل ما تملك من قوى مادية وفكرية ، وبين الاسلام وما يحوى من مثل عليا ومنهاج سوى يبنى الحياة ويسعد الانسانية المعذبة من شقوتها المادية ، وعدالة تصبو إليها النفوس ولن تجدها الا فى هذا الدين .

فى هذا الصراع يقوم واجب علماء المسلمين لانقاذ شباب المسلمين من وهدة المادية ، وفلسفات الإلحاد ، وفساد القيم ، وضلال المناهج ، والتحلل فى الأخلاق والسلوك .

ويتساءل نفر كيف يؤدى علماء المسلمين واجبهم المقدس ؟ أيبعث الفــكر من شتى العصور وطبعه على ورق صقيل بدلا من الأصفر ؟ أو التبويب والتنظيم لكل ما جاء فى التراث الاسلامى ، ليقف هذا التراث أمام الفكر المعاصر ؟ وهل يفى هذا التراث بكل حاجات العصر . ؟

ومع تقديرنا لهذا التراث المجيد ، وقد قام بالحفاظ على الاسلام وعقائده ، وكان مصدر قوة للاسلام وفخر واعتزاز . فإذا كان الاسلام قد انتصر عسكريا لدك صروح البغى والظلم فى امبراطوريتى فارس والروم ، فإنه قد انتصر فكريا وعقائديا وتمكنت جذوره فى نفوس البـــلاد المفتوحة حتى نسوا ماضيهم نهائيا ، وأصبحوا هم هو ، وهو هم . يدافعون عنه كما يدافعون عن أنفسهم أو أشد .

وهذا كل ما نطلبه اليوم من علماء المسلمين . أن يبرزوا الاسلام كقـــوة محطمة للفكر المنحل فى الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة . ولن يكون هـــذا ببعث الفكر الاسلامى عبر العصور . بل بدراسة لغة الحاضر ومناهج فكره ، دراسة التخصص فى شتى الدراسات الحديثة فى علم النفس ، والاجتماع ، والنظم السياسية والاقتصادية ، ثم نقدها بالاسلام نقدا ينهى تعلق الشباب بها . نقدا منهجيا موضوعيا تحنى له الجباه ويبهت الذى كفر . وأى تخلف عن هذه الدراسة الجادة فلن يجد الشباب الحائر بين زخرف المدنية الحديثة وبين دينه ودين آبائه وأجداده إلا مزيدا من الحيرة والضياع ، والفنـــاء فى الفـــكر الوافد .

والشباب اليوم يجد القصة العاطفية والتمثيل المسرحي ، وفنون الشعر من السهل الممتنع . تقوده الى ما يريد ، وتقنعه بكل ما يملى عليه ، حتى يظن القارىء انه بلغ غاية الثقافة من كل ما يقرأ .

فأين القصة الاسلامية التي توحي بفكرة الاسلام عن الحياة ونظامه فى المجتمع ، وسمو فكرته فى بناء النفس الانسانية ؟ ! ولا أريد قطعا القصص البائدة التى لا تمس المشاعر ولا تحرك الأحاسيس .

والشباب اليوم يتخرج من الجامعة ، وكل ما عنده حضارة الغير وأفكار الغير . فهو يتقمص شخصية غير شخصيته ويقلد غيره ليبدو مفكرا متطورا ، ويلحق بأساتذته الغربيين . فأين الفكر الاسلامى الحديث الذى ينقد الفكر المعاصر وينهى قدسية العلم الحديث فى النفوس المصبوغة به ، وتقوم الجامعات الاسلامية بدراسته ؟ !

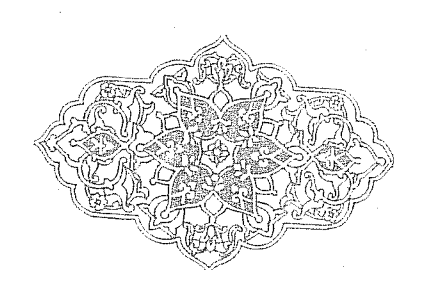
وعلى الرغم من وجود بعض المحاولات فى هذا ، فانه غير كاف . ولا هو بعمق الموضوعية الموسعة ، لنرى الفكر الاقتصادى الاسلامى منهاجا كاملا يحطم كل النظم الأخرى . ونرى الفكر السياسى الاسلامى يدك غرور النظم المعاصرة .

لقد نجحت النظم العصرية فى إقناع الفتاة . أن الاسلام قيد لا بد من التحرر والانطلاق من عقاله . رغم أن القيود الحديدية على حرية الانسان المعاصر لا تفكها الا الثورات الحمراء لكى تجدد قيودا أخرى لم تذق مرارتها بعد . كل هذه القيود السوداء على أعناق البشرية لا تظهر للعيان .

فهل أبان علماء المسلمين هذه القيود . لتحرر الانسان بالاسلام والى الاسلام ويقبل على الدفاع عنه كأشد ما يدافع عن نفسه وعرضه وأرضه ؟؟ !

أقدم هذه الصرخة المخلصة الى علماء المسلمين وأنا أقل منهم باعا فى هذا . إنما حالة الاسلام تدفعنى الى هذا النداء الحار إليهم .

الشيخ محمد عبد الغنى ابو شرفى



أخبار العالم الإسلامي

اعداد : الأستاذ فهمى الامام

الكـــويت :

● لقاءات خير وعمل تلك التى تمت فى لاهور بين ملوك وأمراء ورؤساء الدول الاسلاميـــة لخدمة الاسلام والمسلمين ، وقد كان للكويت دور بارز فى انجاح المؤتمر ، وكان لسمو الامير المفدى نشاط مرموق تجلى فى اللقاءات المباركة التى تمت بين سموه وقادة المسلمين .

● تفضل حضرة صاحب السمو أمير البـــلاد المعظم فادلى بتصريح عقب عودته من مؤتمـــر لاهور الاسلامى جاء فيه : يمتاز هذا المؤتمـــر بالنظرة الواقعية لما تواجهه الشعوب الاسلامية من قضايا ومشاكل ، وما يواجهه الاســـــلام كعقيدة من تحديات .

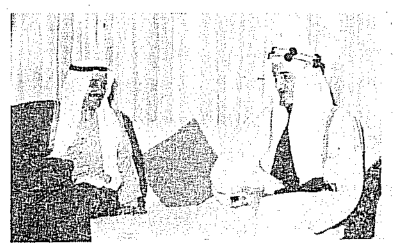
● زار البلاد وفد جزائرى برياسة الرئيس الجزائرى هوارى بومدين ليبحث مع المسئولين الكويتيين الوضع الراهن واحداث المنطقة . ويرى سمو الامير المعظم مع سيادة الضـــيف ومعهما سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وسعادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة .

● قام رئيس الاركان العامة بزيارة القـــوات الكويتية وقوات سلاح الطيران الكويتى المرابطة فى جمهورية مصر العربية .

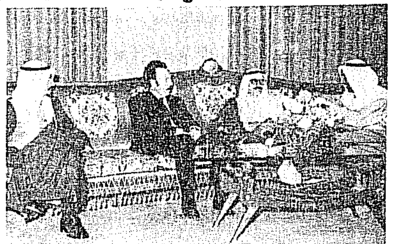
● تقيم وزارة الاوقاف والشئون الاســـلامية احتفالها السنوى بذكرى مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى مسجد السوق الكبير عقب صلاةعشاء الخميس ١١ ربيع الاول .

● تقوم الوزارة بارســـال كميـــات كبيرة من المطبوعات الاسلامية باللغات المختلفة الى منطقة جنوب شرق آسيا وقارة افريقيا لما تتعرض له المنطقتان من تبشير نصرانى مركز .

● قرر مجلس الوزراء تقـــديم مـــزيد من المساعدات المالية للمسلمين فى الفلبين .



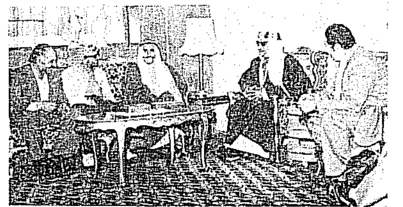
صاحب السمو الامير مع جلالة الملك فيصـــل



سمو أمير البـــلاد والرئيس الجزائـــرى هوارى بومدين .



سمو أمير البلاد مع أمير دولة قطر بحضـــور رئيس وزراء ماليزيا



سمو أمير البلاد يستقبل فى مقر اقامته بلاهور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .

مصـــر :

● الغيت الرقابة على جميع الصحف والمجلات ما عدا كتب ومجلات الجنس ، والكتب والنشرات التى تدعو الى الالحاد أو تطعن فى الانبياء او تهاجم الاهداف القومية للبلاد .

● صادرت السلطات مجموعة مصاحف مزورة كانت مرسلة بالبريد الى هيئات ومؤسسات خاصة فى القاهرة والاسكندرية .. وتركز التزوير على حذف الآيات التى تتحدث عن اليهود وعن عيسى عليه السلام ، ويعتقد ان هذه المصاحف قد تم تزويرها فى اسرائيل .

● قرر الازهر عقد ندوات لطلبة الجامعات والمعاهد العليا عصر كل يوم لنشر تحفيظ القرآن الكريم .. وقد افتتح الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر أولى هذه الندوات بالجامع الازهر .

● أجرى وفد اسلامى من جمهورية غينيا بيساو محادثات مع المسئولين فى الازهر لبحث تدعيم العلاقات بين مصر وغينيا بيساو فى المجال الاسلامى .

السعودية :

● ادلى السيد عمر السقاف وزير الدولة للشئون الخارجية بتصريح جاء فيه : ان موقف المملكة من عروبة القدس قد أوضحه جلالة الملك فيصل أكثر من مرة وهو يتمثل فى الاصرار التام على عروبة هذه المدينة المقدسة .

● أصبحت « رابطة العالم الاسلامى » عضوا فى الامم المتحدة .. كمنظمة عالمية غير حكومية .. وللرابطة نشاطات واسعة فى مجال الدعوة الاسلامية والتقريب بين الشعوب الاسلامية .

● زار مانيلا وزير الخارجية السعودى للوقوف على أحوال المسلمين فى الفلبين .

الجـزائر :

● يبحث الملتقى الثامن للفكر الاسلامى الذى يعقد أوائل هذا الشهر فى مدينة بجايه وضع الاقليات والجاليات الاسلامية ، ومساهمة الفكر الاسلامى فى مجالات العلوم والفنون ، ودور المفكر المسلم تجاه امته والانسانية .

سـوريا :

● اعلن الرئيس السورى ان الحرب مع اسرائيل لم تنته ولن تنتهى بالنسبة الى سورية ما لم تتحرر الارض العربية بكاملها وما لم تعد الى شعب فلسطين حقوقه كاملة .

● صدر قرار حكومى بفرض غرامة مالية ضد كل من ينشر صورا مسيئة للاخلاق .

السـودان :

● سيفتتح فى السودان مركز اسلامى تساهم فيه الدول العربية والاسلامية وذلك لنشر الاسلام فى افريقيا .

أخبار متفرقة

الفلبين :

● لا يزال المسلمون يقاومون بعنف الحملات الشرسة التى تستهدف ابادتهم ولا يزالون يترقبون من المسلمين الموقف الحازم لنصرتهم وحمايتهم .

لاهـور :

● رفع السكرتير العام للمؤتمر الاسلامى تقريرا الى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية تضمن انشاء مجلس اسلامى أعلى يضم العلماء والفقهاء بهدف وضع خطة اسلامية ، تتمشى مع روح العصر ، وانشاء جامعتين اسلاميتين فى اوغندا والنيجر .

كوالا لامبـور :

● يقوم السيد تنكو عبد الرحمن رئيس اللجنة التحضيرية للبنك الاسلامى بجولة فى الاقطار العربية لشرح التقدم الذى احرزه بصدد انشاء البنك .

بانكـوك :

● صرح مصدر مسئول بان عددا من الشخصيات الاسلامية فى تايلاند بصدد تأسيس هيئة للدفاع عن مصالح المسلمين فى البلاد .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الأول ١٣٩٤	مارس ١٩٧٤	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الاثنين	١	٢٥	٤١٧	٥٤٧	١١٥٥	٣٢٣	٦ ٢	٧٢٠	١٠١٥	١١٤٥	٥٥٣	٩٢١	١ ١٨
الثلاثاء	٢	٢٦	١٦	٤٦	٥٤	٢٣	٢	٢٠	١٤	٤٤	٥٢	٢١	١٨
الاربعاء	٣	٢٧	١٥	٤٥	٥٤	٢٣	٣	٢١	١٢	٤٢	٥١	٢٠	١٨
الخميس	٤	٢٨	١٤	٤٤	٥٤	٢٣	٤	٢٢	١٠	٤٠	٥٠	٢٠	١٨
الجمعة	٥	٢٩	١٢	٤٢	٥٣	٢٤	٤	٢٣	٨	٣٨	٤٩	١٩	١٩
السبت	٦	٣٠	١١	٤١	٥٣	٢٤	٥	٢٤	٦	٣٦	٤٨	١٨	١٩
الاحد	٧	٣١	١٠	٤٠	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٤	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الاثنين	٨	ابريل	٨	٣٩	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٢	٣٣	٤٧	١٧	١٩
الثلاثاء	٩	٢	٧	٣٨	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٠٠	٣١	٤٦	١٧	١٩
الاربعاء	١٠	٣	٥	٣٦	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٩٥٨	٢٩	٤٥	١٦	١٩
الخميس	١١	٤	٤	٣٥	٥٢	٢٤	٨	٢٧	٥٦	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الجمعة	١٢	٥	٢	٣٤	٥١	٢٣	٨	٢٨	٥٤	٢٦	٤٣	١٥	١٩
السبت	١٣	٦	١	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥٢	٢٤	٤٢	١٤	٢٠
الاحد	١٤	٧	٠٠	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥١	٢٣	٤٢	١٤	٢٠
الاثنين	١٥	٨	٣٥٩	٣١	٥١	٢٣	١٠	٣٠	٤٩	٢١	٤١	١٣	٢٠
الثلاثاء	١٦	٩	٥٨	٣٠	٥٠	٢٣	١٠	٣١	٤٨	٢٠	٤٠	١٢	٢٠
الاربعاء	١٧	١٠	٥٧	٢٩	٥٠	٢٣	١١	٣١	٤٦	١٨	٣٩	١٢	٢٠
الخميس	١٨	١١	٥٥	٢٧	٥٠	٢٢	١١	٣٢	٤٤	١٦	٣٨	١١	٢٠
الجمعة	١٩	١٢	٥٤	٢٦	٤٩	٢٢	١٢	٣٢	٤٢	١٤	٣٧	١٠	٢٠
السبت	٢٠	١٣	٥٢	٢٥	٤٩	٢٢	١٢	٣٣	٤٠	١٣	٣٧	١٠	٢١
الاحد	٢١	١٤	٥١	٢٤	٤٩	٢٢	١٣	٣٤	٣٨	١١	٣٦	٩	٢١
الاثنين	٢٢	١٥	٥٠	٢٣	٤٨	٢٢	١٣	٣٤	٣٧	١٠	٣٥	٩	٢١
الثلاثاء	٢٣	١٦	٤٩	٢٢	٤٨	٢٢	١٤	٣٥	٣٥	٨	٣٤	٨	٢١
الاربعاء	٢٤	١٧	٤٨	٢١	٤٨	٢٢	١٥	٣٦	٣٣	٦	٣٣	٧	٢١
الخميس	٢٥	١٨	٤٦	٢٠	٤٨	٢٢	١٥	٣٧	٣١	٥	٣٣	٦	٢١
الجمعة	٢٦	١٩	٤٥	١٩	٤٨	٢٢	١٦	٣٨	٢٩	٣	٣٢	٦	٢٢
السبت	٢٧	٢٠	٤٤	١٨	٤٨	٢٢	١٧	٣٩	٢٧	١	٣١	٥	٢٢
الاحد	٢٨	٢١	٤٢	١٧	٤٧	٢١	١٧	٣٩	٢٥	٠٠	٣٠	٤	٢٢
الاثنين	٢٩	٢٢	٤١	١٦	٤٧	٢١	١٨	٤٠	٢٣	١٠٥٨	٢٩	٤	٢٢

ام المؤمنين
السيدة حفصة رضى الله عنهـا

اسـمها : حفصة ، وابوها أبو حفص عمر بن الخطـاب ، وأمها زينب بنت مظعـون .

مولدهـا : ولدت قبل البعثة المحمدية بخمس سنوات .

زواجهـا : تزوجها الصحابى الجليل خنيس بن حـذافة ، وكان من مهاجرى الحبشة وشهد أحدا ومات سنة ثلاث من الهجـرة وكانت آنئذ فى سن الثامنة عشرة . وتزوجها رسـول الله بعد السيدة عائشة سنة ثلاث من الهجرة على الأرجح .

روايتها للحديث : روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين حـديثا ، اتفق البخارى ومسلم على ثلاثة منها ، وانفرد مسلم بستة .

حفظها للمصحف : أم المؤمنين حفصة هى الحافظة الأمينة على اول نسخة من المصحف الشريف ، وذلك انه لما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه الأعلى جمع ابو بكر المصحف الكريم واودعه عند أم المؤمنين حفصة ، وبقى المصحف لديها حتى أخذه عثمان بن عفان رضى الله عنه فنسخ منه النسخ التى وزعت فى الأمصـار .

وفاتهـا : تفرغت حفصة للعبادة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاشت صـوامة قوامة حتى فارقت الدنيـا سـنة خمس واربعين من الهجـرة .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

المغـــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنــــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عــــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شـــارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد